

الأدب والحياة

بقلم / رئيس التحرير

٢

الذين لا يكون لهم شرف التمكن من الأدب وتسخره لخدمة الحياة والناس ، قد يتوفر لهم شيء آخر يقدر أن يخبروا به الحياة ، ذلك أن الأدب يقضي من الإنسان أن يدرك الأسباب ووسائله، ويطلع على أهدافه ومرايمه، ويعرف ملامسته وعناصره التي يتكون منها ، والأدب كلمة أفاد الكتاب في شرح معانيها ، وإذا كانت كلمة « أدب » تعني الأخذ من كل شيء بسبب لدى البعض ، فإنها لدى البعض الآخر التعبير عن النفس كتابة تعبيراً واعياً ، ولدى البعض الآخر أيضاً هو تصوير طاقة الإنسان ، وتوضيح معاناته النفسية كسبابة ، إن شعراً وإن نثراً ، بل إن هناك كثيراً من الكتاب الذين أفاضوا في شرح المعاني للأدب ، وفلسفوا الأدب فلسفات مختلفة ، وكل مجموعة من هؤلاء وأولئك يعتبرون عن مفهومهم للأدب . وعن المعاني التي يتصورونها له ، وعن العناصر التي يتكون منها الأدب ، والأسباب التي يجب أن تتوفر لدى الأديب حتى يستطيع أن يخوض في الأدب ويكتب فيه .

بعضهم شرح الأدب وفلسفته وسماه فنا من الفنون البديعة الرفيعة ، وبعضهم فلسف الأدب ، وأمن في فلسفته وسماه علماً من العلوم الإنسانية ، وإذا كان البعض الأول يركز في شرحه وفلسفته على القلب والعاطفة ، فإن البعض الثاني يعتمد على العقل

الأدب والحياة متلازمان ، وإذا كانت الحياة دليلاً على الحركة والتغير والتطور ، فإن الأدب دليل على تطور الحياة وتغيرها . فالحياة تتحرك وتتغير وتتطور ، والأدب يرصد ذلك ويسجله ويصوره على حقيقته ، وهكذا تستمر حركة الحياة ، ويستمر رصد الأدب لهذه الحركة . إذا فإن الأدب يعمل في خدمة الحياة ، وما دام الإنسان يعيش في هذه الحياة ، فإن الأدب يخدم الإنسان أيضاً . والعقل في الإنسان هو الذي يحركه ويدفعه إلى التفكير ، ومن التفكير يندفع الإنسان للعمل ، والعمل بناء وهدم ، والفروض في الإنسان أن يهدم الفاسد لبنى على أنقاضه البناء الصالح ، ولولا ذلك لفسدت الحياة وتمطلت حركتها . إذا فالإنسان يعيش في هذه الحياة ويعمل على تطويرها وبنائها ، والأدب وسيلة من وسائل الإنسان لخدمة الحياة وبنائها ، وإذا كان ذلك صحيحاً فإن الأدب ملتزم بالحياة ، ملتزم بخدمتها ، وخدمة الحياة خدمة للإنسان نفسه ، ومعنى ذلك أنه لا انفكاك لالتزام الأديب من خدمة الحياة ما دام يعيش فيها ، وما دامت خدمة الحياة خدمة لها ونفسه .

إن

الأدب لا يتوفر إلّا لتفر من الناس ، والناس

فإذا

كانت وظيفة الأدب ومهمة الأديب التأثير على المجتمع عن طريق التأثير على الفرد فيه ، إذا أصبح لزاما على الأديب العربي أن يتجاوب وبيئته ومجتمعه اللذين يعيش فيهما ، وإذا ما علمنا أن البيئة العربية والمجتمع العربي يعانيان من هزات متعددة ، بل إن الوجود العربي والمصر العربي يعانيان من حروب مدمرة تشنها عليه دول الغرب — بلا استثناء — بقيادة الصهيونية الماعية ، فإن عليه واجبا مقدسا في خدمة القضية العربية بكل طاقته ، والقضية العربية هي الأمر الملح الذي يتطلب من الأديب تسخير أدبه لتحريك الفرد العربي نحو الفصاع عن مصيره ووجوده ومن ثم تحريك المجتمع العربي الذي ما زال جامدا لم تحركه الأحداث المتتالية التي تستهوف وجوده . وقد كانت الهجمات التي يشنها الغرب تركزت على التشكيك بالعرب ، وبحضارتهم وبنرائهم وبيدنيهم ، بل ويكسر المقومات التي تشكل أصالهم ، وحتى اللغة العربية كانت الحروب تشن عليها طورا عن طريق حروفها ، وتارة عن طريق قواعدها وأصولها ، وتارة أخرى عن طريق اللهجات الماعية التي تختلف من جزء عربي عن جزء عربي آخر من أجزاء الوطن العربي الممتد من المحيط الأطلسي إلى الخليج العربي .

إن

الأديب العربي والشاعر العربي عليهما مسؤولية التعبير عن مشاعر الإنسان العربي ، ومعاناته في الوقت الحاضر ، وعليهما توعيته ومن ثم تعبئته نحو تصحيح الأوضاع التي يعاني منها ، والأديب العربي عليه مسؤولية نقد هذه الأوضاع السيئة ، فإذا لم تكن مسؤولية الأديب العربي نقد الأوضاع والتعبير عن معاناة النفس العربية فما هي مسؤوليته إذا ؟ والذين ينادون بعالية الأدب ، ماذا يعنون من مناديتهم هذه ؟ فإذا كان القصد بهذه المسألة إسعاد الإنسان والدفاع عن حريته وكرامته ، والمطالبة بعد ذلك برهايته ، فأي إسعاد ألزم من إسعاد الإنسان العربي الحاربر في مصيره ، وأي حرية ألزم من حرية الفرد العربي ، وأي كرامة منهكة مثل كرامته وأي رهاية مسلوية مثل رهايته ؟ إن الصهيونية الماعية تقود حملة

والواقع في فلسفته للأديب على ما يراه ويتصوره ، وإن كان هناك من يخلط بين العقل والعاطفة في فلسفة الإديب ، لا سيما إذا كان الأدب يحتوي على عنصرين هامين ، هما عنصر النثر وعنصر الشعر ، فعنصر النثر أكثر التصاقا بالعقل والواقع بينما عنصر الشعر أكثر التصاقا بالقلب والعاطفة ، وليس معنى ذلك أن النثر يأتي خلوا من تأثير القلب والعاطفة ، ذلك أن النثر ذو شعب كثيرة ، والمقصود هنا النثر الأدبي ، ومن شعبه القصة والرواية والمسرحية والمقالة والدراسات الأدبية وغيرها ، وهذه كلها تشترك بالعقل والواقع ، كما تشترك بالعاطفة والقلب ، فهذان يمدانها بالحرارة ، وذلك يمدانها بالحقائق العلمية الثابتة ، أي أن النثر يجب أن تتوفر فيه حرارة العاطفة كما تتوفر فيه الحقائق العقلية ، بينما الشعر الذي يخلو من العاطفة يفقد حرارته ومن ثم يفقد طابعه كشعر صادق يعبر عن شعور الشاعر ومعاناته ، وفي نفس الوقت لا يخلو من حقائق علمية ملووسة .

إن

الأدب من أهم أسباب الحضارة ، والحضارة التي تخلو من الأدب تفقد أهم عنصر من عناصرها ، بل لملل الأدب هو أساس الحضارة التي تقوم عليها ، والمجتمعات الحضارية عبر التاريخ لا تخلو من الأدب على مختلف أنواعه ، والأدباء هم حملة مشعل الحضارة في مجتمعاتهم وهم ترجيحان هذه المجتمعات ، وعليهم تقع مسؤولية الارتضاع بهذه المجتمعات ، وقد شغل الأقدمون بالشعر خاصة ، وبالأدب على وجه العموم ، وكتبوا فيه الكثير ، وما زالت الدراسات تكتب عن الأدب وتطلسف كتاباتها عن الأدب ووظيفته والغاية المرجوة منه ، هل هو عبث دون غاية ، وهل هو ترف أو زينة ينعم ويتحلى بها الأدباء ؟ وهل غاية الشعر وظيفته وصف القصور ، وتمجيد أصحابها ، وهل غاية الأدب بصفة عامة خدمة الملوك والأمراء وأصحاب الجاه ؟ أم أن غايةه أسمى وأعلى ؟ ولا شك أن الأدب كانت وما زالت وظيفته وغايته خدمة الحياة ، وإن شئت به بعض العصور واستغلت لغايات أخرى غير غاياته ، بل إنها شئت ببعض رجاله من أدباء وشعراء وسخرتهم لأغراض خاصة بعيدة كل البعد عن خدمة الحياة وخدمة المجتمع . ولعل بعضها أرادت به تغيير الحياة ، وتطوير المجتمع ، وخدمة الحضارة بشكل عام .

شرسمة تسخر فيها كل دول الغرب وبعض دول الشرق ضد سعادة الإنسان العربي ورفاهيته ، وضد حريته وكرامته ، بل ضد وجوده ، إذا أقبلنا بحق للأدب العربي أن يوجه كليله للتصدي لهذه الحملة الشرسة ؟ وهل يفقد الأدب العربي طابعه الإنساني إذا ما تصدى للذب عن وجوده ؟

إن

الأدب العربي عليه دور هام في هذه الظروف للاسهام بخوض معركة المصير ، لكن الأدب المطلوب لخوض معركة المصير هو الذي يقوم على أساس سليم ، ويسير في مخطط واضح مدروس ، والأدباء الذين يحاولون راية الأدب يجب أن يتصفوا حقاً بهذه الصفة ، وإلا فقدوا القدرة على التصدي للعدو الذي يتحرك ويحرك بدقة وذكاء ، وينحفظ دقيق ، وأول ما يجب أن يتحلى به الأديب العربي الملتزم هو الثقافة والإطلاع والصدق والإخلاص للقضية التي يدافع عنها ، وأن يكون متعمقاً بترانه وبلغته ، مدركاً ماضيه ، وأغيباً لحاضره ، وأهم من هذا وذلك أن ينطلق من مبادئ أساسيين هما قوميته وترانه ، والأديب الذي لا يؤمن بقوميته لا يستطيع أن يتصدى وينفذ مهام العدو ، وأن استطاع فبقدر محدود ، وكذلك بالنسبة للقراءة ، فالأديب الذي لا يعي ترانه ولا يتعمق به ، ولا يقدر قيمته الحضارية لا يستطيع أن يقف أمام العدو المسلح بكل الأسلحة الثقافية التي يحاربها بها ، بل نقولها صراحة ، حتى السياسيين الذين يحاولون التصدي للاعداء المتهللين بدول الغرب الذين تقودهم الصهيونية العالمية ، يقفون عاجزين في كثير من الأحيان أمام الهجوم الوجه اليهم ، والسبب أنهم لا ينطلقون من منطق قومي واسع ، وإنما انطلاقتهم باتي من حدود ضيقة تكاد تخنقهم خنقاً ، يبينها عدوهم يجابههم وينطلق نحوهم من منطق قومي مخطط مدروس .

إن

الأدب العربي يجب أن يتصف بالمقدرة الفنية بكل ما تحويه هذه الكلمة من معان ، كما أنه يجب أن يتسنى في كل الأسباب والوسائل التي تمكنه من القيام بواجبه على الوجه الصحيح ، فكانت المقالة عليه أن يعرف كيف يركز في مقالته على المعنى المطلوب ، وكيف

يحاول إظهار المعنى للقارئ وتقريره إلى ذهنه وقلبه معاً ولا يكون ذلك إلا باكتلاك ناصية الكتابة ، واكتلاك ناصية الكتابة لا تتم إلا بمعرفة اللغة معرفة جيدة ، وإدراك الأسلوب الذي يكتب به مقالته ، والإطلاع على ترانه وتاريخه وحضارته ، وكذلك كاتب القصة الذي يجب أن يعرف كيف يصور في قصته المرامي والأغراض التي يرمي إليها بأسلوب قصصي مشوق ، أما كاتب المسرحية فعليه أن يحرك اشخاصاً مسرحيته بأسلوبه المسرحي ، بحيث يضفي عليهم طابع الواقعي ، وبحيث يراهم القارئ ويحسهم وكأنهم أشخاص حقيقيون ، وإذا شاهدتهم المشاهد على المسرح اندمج وتأثر بهم ووعى المشهد أو المشاهد التي يمثلونها وكأنها مشاهد حية واقعية طبيعية ، ذلك أن بعض المسرحيات التي كثيرا ما نشاهدها على مسارحنا العربية لا تصور الواقع ، ويظهر عليها كثير من التكلف والإرتجال ، بل إن بعضها يدخل الكثير من المثل والضحك على المشاهد لعدم ترابطها في حركاتها وعدم انسجام الممثلين ، والتكلف الواضح في حركاتهم وفي كلامهم ، أما الشاعر فيجب أن يعبر عن معاناته تعبيرا صادقا ، وبالي شعره شعرا حقيقيا منعنا من قرارة نفسه وغنى مشاعره ، مصورا واقعه وواقع مجتمعه ، ومعاناته ومعانات مجتمعه تصويرا حيا بدون ضعف وبدون ركابة ، وبدون تكلف ، وكذلك بالنسبة لكاتب الدراسة وغيره من الأدباء ، وهؤلاء الأدباء كما ذكرنا لا يستطيعون القيام بواجباتهم على الوجه الصحيح إن لم ينطلقوا — كما قلنا سابقا — من منطق قومي مؤمن بترانه وحضارتهم ، مؤمن بقوميته وبوطنهم ، مؤمن بوحدته وبحقها في بناء شخصيتها بين أمم العالم المتحضر .

إن

الأدب العربي أدى للإنسانية خدمات عظيمة ، وأعطاهما الكثير من المثل السامية والخلق العظيم ، وعليه أن يعي دوره في الحياة ، ودوره في خدمة المجتمع والأمة ، والأديب العربي عليه مسؤولية توعية الفرد والمجتمع وخدمة أمة لنصّ عنها الفزوات التي تتعرض لوجودها ومن غير الأدب أحق بمهمة التوعية ؟

عبد زكريا الانصاري

ندوة «البيان» حول المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب في الكويت



الخليفي



الوفتيان



العسكري



الاشطي



السريح

ARCHIVE

سليمان اشطي / vebeta.sakhr.it.com / الإدارة الثقافية

امترك فيها:
عبد العزيز السريح / سليمان اخلفي / سليمان العسكري / خليف الوفتيان

سنتل الثقافة في وطننا العربي شيئا يمارس بصورة آلية ما دامت تفتقد الى الاحساس بالمعنى الذي يتجاوز محاكاة النفس الى محاورة الآخرين .. وعندها سيبدل المقاريء طرفا بين هذا الرأي اوذاك : سلبيا حين يقف عند حدود السماء ، وايجابيا حين ينفعه الحوار الى اتخاذ موقف او اختيار بسبب .

ان عصرنا هو عصر الحوار . فالانسان ، لكي يعيش ، محكوم عليه بغيره .. فعليه على الأقل ، ان يحول هذا الحكم الى قطبه الايجابي حين يبدل في الصلب .. فاذا هو بين الخلايا وجزء منها ..

ولاننا نؤمن بان الانسان يمكن ان يفهم الانسان ، نفتح هذه الصفحة في « البيان » .. وعن هذا « المجلس الوطني » الوليد ، سيكون الحوار الاول ، لعلنا ، من خلال اكوام الآراء التي قالت وقالت .. يمكن ان نخرج بنصور ما ، او على الأقل نفتح بوابة الحوار ..

« س. ش »

— س. الشطبي :

بمسألة معينة مع هذه الجمعيات او المؤسسات .
والواجب يقضي بان يجري الرد على ذلك بالرسالة
المكتوبة التي تساعد المجلس على البت بالامر المطروح .
من جهة الجمعيات المذكورة — سواء كانت : رابطة
الادباء او جمعية الفنانين او المسارح — فقد سعدت
جميعا وبالتأكيد واستبشرت ببيلاد المجلس الوطني
للتنصاف والفنون والآداب . وليس من شك في انها
تدرك ، باعضائها جميعا ، ان المجلس وجد لاجل ان
يكون واجهة فكرية وثقافية للبلد ، او حماية لهذه
المؤسسات وجودها وابرازها بامكانيات افضل مما
كانت موجودة وهي موزعة بين عدة وزارات وعدة
مؤسسات اخرى . فمن هذا الجانب ، يكون من مصلحة
كل هذه المؤسسات ، وحتى من مصلحة الافراد فيها ،
ان يكون هناك نشاط كبير فيها يرمي الى تدعيم مهمة
المجلس عن طريق ايجاد تجاوب مستمر وصلات قائمة
ومتلاحقة ومنطوية ، من اجل ان يؤدي المجلس
رسالته .

— س. الخلفي :

هذا يعني انك تعتقد ، او بالاحرى ، تقترح ان يكون
ارتباط تلك المؤسسات بالمجلس بدلا من ارتباطها
بوزارة الاعلام مثلا ، وانه لهذا الغرض انشئ ؟ .

— ع. السريع :

هذا صحيح . وانا لا اقترح . . بل ان هذا موجود
في اساسيات المجلس الوطني ، حيث ينص على ان
ارتباط تلك المؤسسات — بل وارتباط الفرق المسرحية
الاخرى من الخارج ايضا — متعلق بالمجلس . وذلك منعا
للازدواجية . والا فما الفائدة من وجود المجلس حينها
تتولى عنه مهام وزارات كوزارات الشؤون الاجتماعية
والتربية والاعلام ؟

— س. الشطبي :

الفكرة الموجودة في ذهني ، والتي اشار اليها الاخ
عبدالمعز السريع من بعيد دون ان يتوقف عندها ،
هي انه من طبيعة عمل المجلس اعتياده على المبادرات ،
سواء المصادرة عن الافراد ام الجاهات . . والمجلس
هو عبارة عن اتاحة الفرصة لذلك . بمعنى ان المجلس
ليس هو الذي يقترح ، وليس هو الذي يتحمل المسؤولية
وحده ، وان كانت له ضاربهه الخاصة . وانا هو
في الغالب عبارة عن باب مفتوح لكل مشروع ثقافي
فالمعملية لم تعد عملية انتظار من الجمعيات او من
جهة مسؤولة يرجعون اليها . . ابدا . . وعلى
الجمعيات ان تبدأ بالمشاركة ، بان ترسم وتخطط ،
وتضع مشاريع معينة ، وتتعاون مع المجلس في
اقرارها . لذلك ارى ان هذا هو الدور الايجابي . .
ولست ادري ما هو رأي الاخ خليفة في هذا ؟ .

السؤال الذي نود طرحه قبل كل شيء هو : ما
الذي يمكن ان تقدم المجلس ؟ — اي : للمجلس الوطني
للتنصاف والفنون والآداب ، الذي تم تاسيسه مؤخرا
في الكويت ، وعين الشاعر والاديب الاستاذ احمد
مشاري العدوانى (امينا عاما له) . . او بالاحرى ،
ما الذي يمكن للمؤسسات الثقافية تقديمه للتعاون مع
المجلس من اجل ايجاد حركة فكرية طيبة . والنقطة
الثانية تتعلق بدور المجلس نفسه في تنشيط هذه
الحركة ، اعتيادا على السعي لنشر الانتاج الفكري
وكيفية نشر هذا الانتاج ، وايضا ، استقطاب العديد
من المفكرين والادباء وغيرهم من خلال الامكانيات
الموجودة في الكويت .

اول نقطة مطروحة للنقاش هي اذن :

— ما الذي يمكن ان تقدم المؤسسات — كالرابطه
والمسارح والجمعيات الثقافية الاخرى — للمجلس ؟!



— ع. السريع :

هناك ظاهرة موجودة عندنا في المؤسسات — وعلى
وجه الخصوص : في الجمعيات ذات النفع العام — حيث
يحرم القاتنون اساسا اعطاء مكافآت لامضائاتها
التشيطين . نجد ان هذا ينعكس على ايكانياتهم في
التفاهم مع الجهات الاخرى ، بحيث انهم لا يطمون
اهمية اية مبادرات تأتي من خارج مؤسساتهم او
مؤسساتهم . ويخيل الى انه من واجب المجلس الوطني
ان يتعاون مع هذه الهيئات في ايجاد صلة لا يقطع
الحذر في ايجادها ، بمعنى ان على المجلس ان يتعاون
مع هذه الهيئات ليجاد صلة حقيقية ، وليست ورقية
او كتابية عن طريق المراسلات العادية . لماذا ؟ — لاننا ،
من واقع التجربة التي نعيشها كأعضاء في جمعيات
ومؤسسات ، نشاهد ان وزارات الدولة ، حينها تكتسب
لها مستفصرة عن امور معينة او تطرح عليها اسئلة
واستفتاءات حول موضوع معين ، يتهاونون في الرد ،
حتى ولو كانت الاجابة هي من صميم مصلحتهم المباشرة ،
يتهاونون في الرد ويكسلون في التجاوب مع الجهات
المعنية .

والذي اتطلع اليه هو ان يدرك من هم في تلك
الجمعيات والمؤسسات ذات النفع العام ان العلاقة
بينهم وبين المجلس الوطني يجب ان تكون اقوى وامتن .
ان يكون ان تكون العلاقة قوية وسريعة ومباشرة . .
وان تدرك هناك طريقة — لا ادري كيف نستحدث
وبسياسي شكل من الاشكال — حتى يتسنى للمجلس
القيام بدوره المنتظر منه . يعني ان المجلس قد يطمح
في الحصول على بيانات او ابحاث ، او يريد ان يطرح

— خ. الوقيان :

أحب أن اعود الى السؤال الاساسي ، وهو : ماذا تستطيع الجمعيات ان تقدم للمجلس الوطني ؟ . — في رأيي : هي تستطيع ان تقوم بدورها من جهتين : اولا ، من جهة كونها مؤسسات ، وثانيا ، من جهة الافراد المكونين لهذه الجمعيات .

• وهذا الدور ايضا ينقسم الى قسمين : قسم للمشاركة الايجابية الفعالة ، وقسم للمراقبة والنقد الموضوعي ومتابعة منجزات المجلس .

اما ما يستطيع الافراد او الاعضاء في الجمعيات تقديمه ، فيستمد عن طريق انشاء نوع من العلاقة بين المجلس وبين الافراد او بين الجمعيات ككل . يمكن ان يكلف الافراد باتخاذ بعض الاعمال الفكرية في اختصاص او في آخر .. ويمكن ان تساهم الجمعيات بطرح مشروعات شاملة كاملة ، تمس الجانب الثقافي طبعاً .

هذا من ناحية المشاركة . اما من ناحية المراقبة والمتابعة والنقد ، فهذا امر جوهري ومهمة على الجمعيات ممارستها .

بقي موضوع الفطام الذي تتبعه وزارة الشؤون الاجتماعية والعمل ، والغاي هو تقديم المكافآت المادية للافراد في مختلف الجمعيات .. مما اشار اليه الزميل عبدالعزيز السريع قبل قليل . لا بد هنالك من التأكيد على اهمية الحافز ووجوده ، وليست القضية ان نظام تلك الازالة لا يسبح بالمساعدة ، وان الجمعيات لاجل هذا السبب تنهار في المشاركة او في البدء على كثير من الامور التي يؤخذ رأيها فيها . المسألة ليست بمسألة مساعدة ، وانما هي ايجاد نوع من الحوافز لدفع هذه الجمعيات الى المشاركة ، مع عدم اغفال واقع هذه الجمعيات . وقد يتقوّن الموضوع الى الحديث عن واقع الجمعيات وسبل دفعها الى الخروج من هذا الواقع .. وهو موضوع طويل قد تعود اليه فيما بعد . انما الجمعيات .. بواقعها الحالي المفكك وجهودها الفردية .. ما الذي تراها تستطيع ان تفعل ؟ . يمكن ان تدفع دفعا الى المشاركة من خلال التكليف في البداية ، ثم من خلال مبادراتها للمشاركة ، ومن خلال دور الرقابة الموضوعية التي يمكن ان تمارسها .. مما قد تعود الى تنميتها فيما بعد .

— س. الخلفي :

من ضمن مهمات المجلس : الثقافة . والثقافة ، بالنسبة للمسارح تشكل طوبجا معينا . فمثلا ، الان ، العلاقة بالبنرة للمسرح بالناس تتم عن طريق خبشة المسرح وما يقدم عليها .. بينما تطمح للمسارح في المستقبل الى ان توفر الشيء الذي لا تستطيع الصحافة

الان توفيره الا عن طريق مجال ضيق : وهو نقد العمل المسرحي .

فالمسرح يطمح مثلا الى اقامة دراسات . دراسات عن الديكور .. دراسات عن دور الاضاءة ودور الميكاج .. دراسات عن طبيعة الاخراج ، بحيث لا يظل مترسبا في اذهان الناس ان المخرج ليس سوى محرك ومساعد للممثل على حسن الاداء وما شابه .. هناك ، كما نعلم ، فلسفة قائمة عند المخرج في نقل النص من صيغة ادبية الى صيغة فنية .

• هذا ايضا يمكن للمسارح القيام به ، ويدعم عطاء المسرح هذا رسالة المجلس الوطني في مجال الثقافة .

— س. الشطي :

القطعة التي يمكن ان تتعلق بذلك ، قبل الانتقال الى النقطة الثانية : قضية التشجيع .. التي هي نغمة سائدة ! .. فالدعوة مستمرة بالحاج الى تشجيع الانتاج الكويتي .

ان نتيجة هذه النغمة حدوث سوء التطبيق الحاصل الان .. اذ لم يتوفر من وراء ذلك التشجيع المزعوم اي انتاج مقبول او جيد .. وما تنشر من انتاج تنتجه الدولة يمثل اكثره نوعية متخلفة جدا ..

— ع. السريع :

بل لقد ادى ذلك الى اختفاء الشيء الجيد

— س. الشطي :

اعتقد بان الواجب الان بات مزدوجا . فالمجلس لم ينشأ لمساعدة احد .. وانما انشئ لاجساد جو ثقافي ، جو فكري ، وتطوير البلد . فمما هو التصور الذي تنصوره .. بل ما هي الاقتراحات التي يمكن ان نضعها ، حتى لا يقع المجلس في نفس الاخطاء السابقة تجاه امثال تلك المشاريع .. وخاصة في مجال النشر .

اننا ، عندما نسال وزارة الاعلام عن السبب في نشر كتاب معين ، نلتقي ردحا : بانها لو لم تنشره لقيمت قياسية الكثيرين ضدها .. وقالوا لها : ان صاحب الكتاب كويتي ، ولم نل تشجيعه ؟ .

فيماذا نفعل لحماية المجلس من الوقوع في هذه الزايدات التي هي في اغلبها ليست ثقافية ؟ .

— س. العسكري :

ارى ان المقصود من النشر ليس التشجيع فقط والبلح من المبادرات الجيدة من اجل تشجيعها . فعملية النشر انما هي دفع هذه المبادرات الى مزيد من النمو

واضطراد التطور .

الا ان ما نلاحظه حول طريقة النشر في وزارة الاعلام هو ان هذه الوزارة تقوم بنشر اي كتابات ل مجرد كونها من نضاج قلم كويتي .. بمصرف النظر عن نوعيتها وقيمتها . بل ينسدر ان تجد شيئا جيدا في منشورات وزارة الاعلام !! .. ومعا هذا النادر والتليل جدا ،

لا نجد سوى ركام .. لا يجوز اصلا ان تنشره الدولة . لان المفروض في ما تنشره وزارة الاعلام ان يمثل وجه الدولة في الخارج . واني لا اعتقد ان ما تنشره وزارة الاعلام الان يمثل الوجه الحقيقي للحركة الثقافية والفنية ، او الثقافية بشكل عام ، في الكويت . وهكذا نرى ان وزارة الاعلام انها تعمل على تشويه هذا الوجه الثقافي للكويت ، على الاقل ، خارج الكويت . وحتى في الداخل ، وبحكم امكانيات الوزارة في النشر والنوزيع ، هي قادرة على ابراز ما تقوم بطباعته .. بينما غالبا ما لا يستطيع افراد الذين يقومون بطبع نتاجهم ان يوزعوه . هذا ، والوزارة المذكورة ماضية في اشهار اسما ما في الحياة الثقافية في الكويت واخفاء الجواهر الجيدة والبراعة والمنوعة التي يمكن ان تكون نواة لحياة فكرية في هذه الفترة من حياة البلاد . وانا اعتقد بان على المجلس الوطني ان يتلاني كل هذه الاخطاء ، فلا تتحول المسألة الى مدارة خاطرة فلان او علان .. بل ان تكون ثمة خطة ، يمكن اني كان ان يستشف ما وراءها ، وماذا يريد اصلا من حياة فكرية يجب ان نرسي اسسها من الان .. وبالتالي ، لا ينشر الا الجيد من الانتاج ، ونوقع مستقبلا ونوعية افضل مثل هذا الانتاج الجيد .

اما اذا استمرت عملية المساعدات ومدارة الخواطر ، ل مجرد اخبار الآخرين بان لدينا شعراء وكثبا ، فلن يلبث الامر ان يتحول الى تهريج واساءة كبرى لنسا ولاديب الجيد في بلدنا .. وذلك حينما نغرقه في ركام النتاج السيء .

ـ خ. الوقيان :

لا بد من اضافة اخرة . فالحديث تصوره ان الموضوع لا يفت عند وقف التشجيع بالنسبة للمؤلفات الرخيصة .. لان وقف التشجيع هو امر سلبى . وانا يجب ممارسة دور ايجابي في العمل على الحد من انتشار هذه المؤلفات ، حتى ولو لم يدفع التشجيع الى ظهورها .

وهذا يرتبط بفهم الرقابة في وزارة الاعلام . تصور ان مفهوم الرقابة عندهم لا يزال متخفا ومرتبئا بجزئيات صغيرة جدا ، كان يمنع الكتاب او لا يشجع حينها ليس جانب الجنس او الجانب السياسي او ما شابه . في المقابل ، يسمح او يشجع احيانا بعض

المؤلفين الذين يدفعون للمكتبة بكتابات رخيصة تشوه الفكر وتدمر كل امكانيات الابداع في المستقبل ، وتنفذ الكثير من المبتدئين الى قطف ثمار غير ناضجة في وقت مبكر . فالمعيلة اولا تعتبر سلاحا ذا حدين ، يدفع من له قدرة على الكتابة ولا ليس له قدرة الى خوض هذه التجربة حتى لو لم يكن يملك العدة لها . هذا بالنسبة للتشجيع .

اما الثاني فيدور حول ممارسة اجراء ايجابي لوقف نشر هذه المؤلفات . وهذا امر مهم وخطير . اذ ينبغي الا نتوقف عند عدم تشجيع المؤلفين على الكتابة ، انها الرقابة على ما يكتبون - و « الرقابة » عبارة يجوز ان تكون مكروهة وكلية شديدة او سيئة الوتسح . انها يجب ممارسة ما يشبه التدقيق العلمي .. او التاكسد وتحري الحقائق حتى لا يشوه الفكر في البلد ، وحتى لا تشجع بعض المفاهيم المغلوطة او المدمرة خلال ما ينشر من اغلب المؤلفات الكويتية التي ما زالت تصدر حاليا .

لهذا يمكن حصر القضية في حدود تطوير مفهوم الرقابة في وزارة الاعلام حتى تمس المؤلفات الرخيصة ووقف ان انتشارها . فاذا كان لا بد من صدور هذه المؤلفات ، فيجب الحد من وصولها للمكتبات ومن خروجها من البلاد ، ما دامت تنقل وجهة نظر سيئة ومضرة مشوعة ومبتذلة عن واقع الفكر في البلاد .

ـ م. القيسري :

في تعليق بسيط على موضوع الرقابة . فانا ضد فكرة الرقابة التي طرحها الاخ خليفة الوقيان .. لاني ارى ان المطالبة بفرض تلك الرقابة ممكنة عندما تصل الاجهزة المسؤولة عننا الى المستوى الذي يؤهلها لتقييم الكتاب والمؤلفين . بينما من رايي الان ان ادعو الى ازالة كل رقابة ممكنة او موضوعة في البلاد على الانتاج الفكري بشكل عام . واقتصد بالانتاج الفكري: الانتاج الشامل للنتاج الفني والادبي وغيره ..

يجب عدم تشجيع الانتاج النافه ، وذلك للحد من انتشاره . وفي نفس الوقت ، يجب وضع كل الامكانيات تحت تصرف الانتاج الجيد . وحينما يطغى الانتاج الجيد على الانتاج النافه ، ينتهي هذا الاخير وحده دونيا استخدام السلطة لمنع ظهوره وانتشاره . لان استخدام سلطة الرقابة قد يمنع ظهور الانتاج الجيد . وغالبا ما يحصل هذا . وذلك مشاهد في الاجتماعات النامية بالذات ، حيث تستخدم الرقابة لصالح الفكر المتخلف والردئي .

لذا ، اجبني في هذا الصدد ادعو الى ازالة الرقابة نهائيا .. كما ادعو الى طرح مفهوم جديد بالنسبة لتعاملي السياسة في الفكر .

الجديد ، او جمعية او جماعة من المثقفين المدركين لاهمية حرية الفكر .

— س. الخلفي :

اعتقد باننا نثقفون جميعا على هذا الشكل الجيد من الرقابة . وهذه الطريقة ممكنة عن طريق المجلس الوطني ، حينما يباشر اعماله في تقييم نتائج فكري ما : سواء كان ادبيا او فنيا .

مثلا ، قد تقوم في نهاية موسم معين عملية مسح لما قدمته المسارح عن طريق نصوص المسرحيات . . يستنتجها صدور تقرير لترتيب هذه النصوص من حيث الجودة . وهكذا يمكن نشر النصوص الجيدة ، وتذليلها ودراسات للاعمال المسرحية . الرقابة هنا هي اذن نقدية ، تساعد على التعريف بالفن الجيد . وهذا سيؤدي الى تساؤل آخر : هل سيتبع المجلس الوطني الفرصة للمسارح لان تنشر الابحاث والدراسات المتعلقة باعمالها وان تصدر مجلات خاصة بها ؟ .

— ع. السريح :

الواقع انني تابعت بشغف هذا الحوار حول دور الرقابة ، وهو حوار ممتع حقا ، وخاصة بالنسبة لاصحاب الحرف والكلية . استنتج منه ان عملية التشجيع عملية حسنة ومطلوبة بحد ذاتها .

التشجيع المطلوب — وكما قال الاخ سليمان الشطي — هو تشجيع العمل الجيد ، والبحث عنه ، والسمي للبه . . . كان استنكب ذوي الاختصاص في احوالهم ، فاطلب من حاذق في الكتابة في الامور السياسية ان يعالج قضية معينة . . ومن الكاتب المسرحي الجيد ان ينشر عملا اكثر من اعماله . . ومن

الشاعر ان يجمع شعره في ديوان ليتم اصداره . .

من مهمة المجلس الوطني ان يعرف مواقع الكفاءة والمقدرة الفكرية في خريطة مجتمعه ، وان يسعى الى تلقي الجيد من النتائج . وبالمقابل ، يرفض ان يلقى ما هو هزيل وقافه ، لا بان نفسه ، ولكن بالا شعبه والا يسهل في طبعه او يساعد في شراء ما يطبع منه ، وان يمارس عملية النقد بالنسبة للاشياء الجيدة وغير الجيدة على السواء ، ويخيل الي ان هذه هي الرقابة الحقيقية ، وهذا هو دورها المطلوب منها .

— س. الشطي :

التشجيع نابع من واقع الكويت . اذ يجب تقدير التشجيع لان هم داخل الكويت . ولكن ، ما هو التصور في ذهننا حول حماية هذا المجلس ، او حماية فكر هذا المجلس من الاقلية بدلا من ان يكون المجلس « كويتي » منفصلا . . . علما باننا في تعاملنا الثقافي لا يمكن ابدان ان نعتبر الكويت كيانا ثقافيا قائما لوحده . .

مفهوم السياسة قد تغير الان . اذ ان الفكر بات يشمل المواضيع السياسية وغير السياسية . فنادا تخلي الفكر عن معاناة السياسة ، يكون قد تخلى عن قضية المجتمع . والسياسة أصبحت جزءا من حياة الانسان المعاصر . وبالتالي ، غزالة الرقابة واجبة ، وانما اطلب بها ، وادعو المجلس الجديد لان يرغم عن الانتاج الفكري كل انواع الرقابة . . انها يجب ان يضع قيودا يقيده بها الفكر الذي ، ويسمح بانطلاق الفكر الجديد ، بغض النظر عن اتجاه هذا الفكر المطروح : سياسيا كان او اجتماعيا او اقتصاديا او فنيا تجديدا . . .

— س. الشطي :

اسمحوا لي ان اوضح فكرة لعلها كانت غامضة . فمن خلال كلام الاخ خليفة فهم انه يحاول ان يفرق بين الصدقة او المساعدة ، وبين التقييم .

فالتشجيع لا بد ان يكون موجودا في ليل نام كالكويت . ولكن دور المجلس الوطني هنا ليس هو دور الرقيب ابدا . . وانما دوره ينحصر في التقييم . وعندما يتقدم منه انتاج حققي ، يقيمه وييسر مساعدهه وتشجيعه الى اقصى الحدود .

انما الحاصل عندنا ، بوزارة الاعلام وغيرها من المؤسسات الحكومية ، هو الخلط بين التشجيع والمساعدة . . علما بان الجهة الحكومية المختصة بالمساعدة هي وزارة الشؤون الاجتماعية والعمل بينما تتحمل الجهة الناصرة للانتاج الفكري كالشعر وغيره . كامل المسؤولية تجاه القراء والاحباء القائلين :

— خ. الوقيان :

اود ايضاح نقطة معينة هنا . فانا ، مع تسليمي بخطورة كلمة (رقابة) — فهي كلمة مزعجة ، من الصعب هضمها وتقبلها — اعتقد بانني كنت اعني بها مدلول التدقيق . . التدقيق في قبول هذه المؤلفات . لاننا نعلم جميعا مدى الخطورة من نشر تلك المؤلفات الرديئة ومساهمتها في تدمير مفاهيم النشء الذي يتغذى من مطالعاتها لها في المكتبات .

ان كلمة (الرقابة) خطيرة ، ومن الصعب هضمها . ثم ان اشاعة مبدأ مراقبة كل ما يكتب امر صعب . انها لو وجدنا اي اجراء بديل ، لاحكام التدقيق والمراقبة — سواء ما شئت — على ان يكون نوعا من التدقيق بشأن تلك المؤلفات الرخيصة ، بقية الانتشار . فاذ كان لا مناص من صدورنا ، فلنصدر . . ولكن . . يجب الحد من انتشارها بين النشء .

ومثل هذه المراقبة او هذا التدقيق ، يجب ان يكون عليها بحثا . . لا تتوله مثلا سلطة حكومية . . وانما يمكن ان تختص به لجنة من لجان المجلس الوطني

— ع. السريع :

.. ولا في اي منطقة عربية ..

— س. الشطي :

.. نعم ، ولا في اي منطقة عربية . لذلك ، فأننا اتسائل على ضوء هذه النقطة — ضوء التشجيع والنقد وما شابه — عن كيفية حماية المجلس من الاقلية بحيث يكون دوره ايجابيا تجاه الثقافة العربية والفكر العربي عموما . وهذا واجب غير ممارس لدينا في الكويت مع الاسف ، مع ان الطاقات المادية — وهي مهمة — متوفرة الى جانب الطاقات البشرية .

— خ. الوقيان :

الحقيقة . هنالك في التقرير الذي رفع الى المجلس الوطني ، اشارة الى اقتراح اصدار جائزة دولية باسم الكويت لاحسن نتاج عربي ولاحسن نتاج عالمي . ومن رأيي الا تقتصر هذه الجائزة على ما يكتب عن المنطقة ، بل يجب ان تشمل ما يكتب عن البلاد العربية ككل . نوجد الجائزة الدولية هذه مع تشجيع اي عمل فكري عربي . يمكن ان يخرج المجلس الوطني من نطاق الاقلية . وهذا ، على ما اظن ، اهم ما في هذا الصدد .

— س. العسكري :

بالنسبة لحماية المجلس من ظاهرة الاقلية ، هناك ناحيتان : الاولى : ان يطلب من المجلس تحديد كيفية خدمة الحركة الفكرية في الكويت . وفي اعتقادي ان من الضروري ان يفتح المجلس للحركة الفكرية في الكويت كل الاماكن ، فتصبح بالتالي اداة سليمة لتوصيل الفكر العربي الجيد الى كل مكان الى النشر ولكافة المتعاملين مع الفكر في الكويت . مثلاً ، هناك في المغرب العربي كاتب جيد قد اصدر مؤلفاً جيداً .. فلم انتظر عشرين عاماً حتى يصلني العلم والخبر بهذا هذا الكاتب وما الف ؟! .. وبما ان الطاقة المادية ستوفر للمجلس ، فمن واجب هذا الاخير ان يصبح اداة توصيل للفكر من مكان الى مكان اخر ، وجعل الساحة الفكرية في الكويت على علم تام بما يصدر في الساحات العربية الاخرى .

الناحية الثانية : هي ان يساهم المجلس — كما اشار الاخ خليفة الوقيان — في تشجيع الانتاج الفكري العربي برصد الجوائز له .

هناك ضرورة لان يساهم المجلس ايضا في حماية ومساعدة الكفاءات العربية التي نراها تضطهد في كثير من البلدان العربية . وللاضطهاد اشكال متعددة ، والمرء منا يحس بان اضطهاد الفكر والفكرين يشمل منطقة عربية معينة وفي وقت من الاوقات . وبعائدي ، انه من مسؤولية المجلس الوطني ان يساعد هذه الكفاءات ، لا بأن يستقدمها الى الكويت وينفذها بملفها

من المال ، ولكن بان يحمي ثرائها وانتاجها ، وان يساعدوها في مجال النشر .

وتخطر بذهني الان اسماء معينة لضرورة لذكرها : ثمة شاعر ظل يفتش اربع سنوات متتالية ، ودون جدوى ، عن ينشر له ديوانه ولو مجانا ! .. وكتساب قيم يتوجب اعادة نشره : لا يجد احدا يقدم على ذلك ، رغم الحاجة الماسة اليه . .. لانه ، في تصور دور النشر ، لن يعطى برودوا ماديا معيناً .. وهكذا سيطر على اسواق النشر ما هو غير ذي قية فكرية فعلية ، بل ما هو مثير للعواطف الدينية ، كالجنس وغيره .. اما ما هو اصيل ، فلا احد يقدم على نشره . فالمنتظر من المجلس تقديم عونه بهذا الخصوص ، وتشجيع الكفاءات العربية .

— ع. السريع :

ثانياً لهذه الفكرة ، اعطى هنا مثلاً محسوساً يتمثل في (سلسلة المسرح العالمي) الصادرة عن وزارة الاعلام الكويتية :

هذه السلسلة تعتبر بحق بخرقة للكويت .. لان الكثيرين من المثقفين في مختلف البلاد العربية باتوا يحرصون على اقتنائها وتتبع ما يصدر منها شهريا بحرص واهتمام . والسلسلة ، الى ان لم تكن تغطي اثار كتاليف اصدارها ، فهي بلا شك في سبيلها الى ذلك ، في المستقبل القريب . اذن ، فالمهمة هذه غير خاسرة ابداً .. كما انها تضمن تمويلاً لسلسلة الكويت في الخارج . فعلى هذا القياس ، يمكن للمجلس الوطني ان يصدر مجموعة من البلاط في مختلف التخصصات .. على غرار (سلسلة المسرح العالمي) ، مثلاً : سلسلة المسرحيات العربية ، ويدخل ضمنها النتاج المسرحي الكويتي والعربي . بما يعتبر ترويجاً لادب الكويت من خلال هذا الباب العريض جداً ، ثم ، سلسلة للقصة القصيرة ، وسلسلة للروايات الطويلة ، وسلسلة لداوون الشعر . ان اصدار مثل هذه السلاسل يبعد الاقلية عن اعمال المجلس بطريقة عفوية .. دون تكلف جهد سن تشريع لذلك .

— س. الخليفي :

... كذلك يجب الالتفات الى المواطن العربي الذي يقيم في الكويت ويكتب عن الكويت كاحد ابنائها ، واعطاه حقه من التقدير .

— س. العسكري :

يجب ان تكون النظرة الى دور المجلس الوطني نظرة واسعة ، لا تنحصر في زوايا ضيقة محدودة . فهذا المجلس يجب ان يشبه منظاراً يمكن ان يستشف عبره كل النشاط الحاصل في الحياة الثقافية والفنية ، الان وفي المستقبل .

— خ. الوقيان :

انا لست ضد تشجيع الفنانين . وانها قلت بان لكل شيء حجه وحدوده الطبيعية . اما ان تغنى المشكلات الصغيرة — كمكافأة الفنانين وغيرها — فهدى قد تجرف المجلس الوطني الى حافة الاقليمية . والسؤال الاساسي انها يتعلق بموضوع الاقليمية ونوعية السبل التي يمكن اتباعها لدفع المجلس بواسطتها الى الخروج من واقع الاقليمية .

فمنظري ، الفن هو جزء مكمل .. جزء له وجهه في الثقافة ، وانما يجب الا يتعدى حجه الطبيعي ، والا تغضى عليه حالة اكبر مما يستحق ... لجرد ان الفنان يمتلكون وسائل اعلام قد تفوق ما لدى غيرهم ، لا اكثر !

— س. التفتي :

على ضوء التفتين الماثرتين : نقطة تحويل الكويت الى مركز ثقافي .. لا على صعيد الكويت فقط بل على صعيد العالم العربي ايضا ... والنقطة الثانية المنقطة بالا يكرس المجلس الوطني كل جهوده واهتماماته للجزئية الخاصة جدا ، بل يتخذ بشأنها التوصيات العاجلة وينبها دون ان يفقد اهتماماته العامة المعنية بالحيثيات الجانب الثقافي في البلد ..

.. على ضوء هاتين التفتين ، وبجمعهما معا ، يتكون امامنا موضوع مهم جدا في عالمنا العربي .. وهو : كيفية حماية المجلس الوطني من التجمد .. او حماية مشاريع المجلس من الجود .

الملاحظ ان كل المشاريع — واقول (كل) بدون تحفظ — لكل المشاريع العربية ، سواء على المستوى العام ام على المستوى الثقافي ، تصاب اما بالشلل اما بالتساؤل ، وبعد ذلك بالاختفاء ! .. لكننا الاستمرارية والتطويرية ليستا من خصائص العقلية العربية .

واذا القينا نظرة على الكثير من المشاريع الثقافية الناجحة ، نجد ان التي لا نراها دار نشر تجارية : وكانت ترعاها مؤسسات حكومية ، تكون فاشلة . ولدينا امثلة كثيرة على ذلك ، مما حدث مثلا في الجمهورية العربية المتحدة قبل سنوات .. وبين الكويت هنا ، حيث بدأ اصدار سلسلة التراث العربي متلاحقا في البداية ومتباطئا في النهاية .. حتى بنسنا لا نرى سوى مجلد واحد يصدر عن تلك السلسلة كل سنتين ! فكأننا نسير من اعلى الى اسفل : عكس الطبيعي ...

فماذا نحننا موضوع الحركة المسرحية ، نجد انها قد تطورت على مستوى الافراد .. بينما هي ، على مستوى المجهود ، قد توقفت ! .. واستطيع القول ، بلا حجابلات ، بان ثمة مؤلفين مسرحيين قد تطوروا ،

اما النقطة التي اشار اليها الاخ سليمان الشطي حول حماية المجلس من الانزلاق في « الكوميديا » ، فهي نقطة اساسية جدا ، يمكن توسيع نطاق البحث فيها . وقد ضرب الاخ عبدالعزيز السريح مثلا جيدا ، هو : سلسلة المسرح العالمي .. وهي من اهم الاعمال التي انجزت دون ضجيج ولا دعاية . وكذلك مجلة (عالم الفكر) .

نحن في الكويت ، بل وفي العالم العربي ايضا ، بحاجة الى ان نتقل اليها امهات تراث الفكر العالمي ، وان يتم توصيلها الى المواطن .

ثم هناك مسألة المحيطات والاقليمية .. بحاجة الى توضيح ، والى تثبيت مبدأ الفكر العربي عموما .

— خ. الوقيان :

ان احتياك انجرف المجلس الوطني الى الاقليمية مرتبط بما يمكن ان يمارس من ضغط عليه . وهذا الضغط قد يأتي من الفنانين ، والفن بفهم الفناء والموسيقى وما شابه .

فالملاحظ في الكويت ان الفئة التي تملك قدرة اعلامية اقوى على الضغط ، هي التي تنجز او تكتسب منجزات اكثر ... ! فاذا كانت فئة الرياضيين اقوى .. اسمى هذا انهم هم الذين سيحصلون على حصة كبيرة . اما الادباء وامثالهم فلا يستطيعون الحصول على كل ما يريدون .

وبا يخصى على المجلس الان يتأني ما قد يمارسه الفنانون — بالفهم الضيق للفن : كالفناء وما شابه — من ضغوط ، كذلك التي يمارسها الرياضيون في مجالات اخرى . والواجب ان يتجاوز المجلس هذه النظرة او ان يكون بمنأى عن احتمالات الضغوط .

— ع. السريح :

اشار الاخ خليفة هنا الى الضغط الذي قد يتعرض له المجلس الوطني من قبل فئة معينة ، هي فئة الفنانين .. الذين حدد صفتهم الفنية ايضا . واذا كان هؤلاء سيارسون ضغوطا من هذا القبيل ، فلن يمس ضغطهم القضايا الاساسية التي تحدثنا عنها ، بل سيسبب هبومهم الخاصة وشاكلهم التابعة من واقعهم الراهن . علما بان من صميم اهتمامات المجلس ان يرعى الفنون بمختلف اشكالها ، سواء كانت في ميادين الفناء او المسرح او الفنون التشكيلية ، او اية فنون اخرى مستجدة . والمجلس ، انما يضع نصب عينيه كل هذه الامور ، لاعتماده على ما اوصت به لجنة تطوير الفنون من حيث الاهتمام بالفن وتطويره وتنميته ، ولا يتأني هذا الا بالاهتمام بالفنان ذاته شخصيا : بمعاشه ، وبأسلوبه في الحياة ، وبثقافته ومعطياته ومكافاته .

في الوقت الذي تخلفت به الحركة المسرحية ذاتها . خذ مثلا : نجاح نص او تسمين مسرحيين عام ١٩٧٣ مقابل نجاح ١٢ مسرحية عام ١٩٦٤ . . . ما يصح اعتباره تخلقا ، لا تقدما . هناك افراد قد تقدموا . بينما المجموع قد تخلف . . .

وهنا يعود البنا السؤال من جديد : كيف يمكن حماية هذه المشاريع — في المسرح وفي ميدان الفكر عموما — من الجود ومن الوقوف ؟!

— س. الخليلي :

اعتقد ان من واجب المجلس ان يضع لنفسه نوعا من الخطوط او التخليط المحدد بزمان معين ، من اجل تنفيذ منجزات معينة . .

— س. العسكري :

بالنسبة للمشاريع ، ارى وجوب وضع خطة لكل مشروع لا ترتبط بوجود فرد معين وراعا : اذا اختفى يختفى معه المشروع . . . بمعنى انه يتوجب قيام خلفية وراء كل مشروع يجري تنفيذه .

— غ. الوقيان :

اؤكد على الخطة التي اشار اليها الاخوان . . مع ملاحظة ان تكون الخطة واقعية ، نابعة من الواقع ، مع مراعاة كل الامكانات المتوفرة . والشئ الاخر المطلوب : سلامة التنفيذ . . وان يملك الجهاز المنفذ القدرة على التنفيذ بشكل سليم . اما التوقف والجهود فيتباينان عادة نتيجة الارتجال الذي يقود الى هبوط بعد صمود !

— ع. السريع :

كيف يمكن للمجلس ان يحمي نفسه من الجود ؟ — يجب ان تكون لديه القدرة والامكانية على تجديد نفسه باستمرار ، ومواكبة التطور الاجتماعي والسياسي والفكري في المنطقة وفي العالم . وهذا لا يتها — بلان بونفر حرية كافية للمجلس تسبح له بان يستقطب ما يشاء من الامكانيات والكفاءات : محليا وعربيا ، وحتى عالميا اذا لزم الامر . على اعتبار ان هنالك قوائم موجودة في الدولة قد تعمق تقدم المجلس . .

— س. الخليلي :

اضافة لما قاله الاخوان ، اقول بان تعامل المجلس مع التنازع الفكري يجب ان يستند الى كون هذا النتاج جزوا من تراث الانسانية ، لا الى هوية صاحبه . ثم ان على الجمعيات والمؤسسات الثقافية في البلد ان تكون مصدر عطاء للمجلس .

— س. الشنطي :

الا ترون معي ان مرونة المجلس وتحركه يرتبطان بتشكيلة اعضاء المجلس . . ما دام هؤلاء هم الذين يضعون خطة عمل المجلس ؟

— س. العسكري :

المفروض في تشكيل المجلس الوطني ان يراعى

اختيار الاعضاء فيه من العاملين في الوسط الثقافي . اما اتصام ممثلين عن وزارات الدولة في عضويته ، فله شبهة في تجربة مجلس الجامعة عندنا . . حيث اثبتت التجربة فشلها التام .

لا مانع من ان يكون وكيل احدى الوزارات عضوا في المجلس ، ولكن ، بصفته الشخصية لا الرسمية . . والا كان عبئا ثقيلا على المجلس . .

— ع. السريع :

ارى ان تمثيل بعض الوزارات في المجلس الوطني امر سيكوي مقبوضا بشكل اساسي على المجلس ، ولا بد منه بحكم طبيعة عمل المجلس ذاته وارتباطه بطبيعة عمل تلك الوزارات . لذا ، لا يمكن المطالبة باقتصار ممثلي تلك الوزارات — كالتربية والاعلام وغيرها — عن عضوية المجلس الفعلية . . وذلك لعدة اعتبارات بدئية . .

— س. العسكري :

اذا كان لا بد من ذلك ، فليكن على اساس المساهمة والمساعدة في تحقيق الغرض الاسمي من وجود مجلس وطني كهذا في البلاد . . لا ان يشكل مينا تقود ومعوفا . فالغرض ان يعمل المجلس على تطوير اعمال هي الان من اختصاص وزارات معينة ، لا ان تكون تلك الوزارات وصية على اعمال المجلس ذاته . فالكجبات العلية ، مثلا ، يقتضي واقع الحال ان تكون في ملوحة اهتمامات المجلس المقبلة ، هي وانشاء دار توعية للوثائق ، وانشاء مسرح عالمي ذي خطة واسعة . والخلاصة ، يجب ان يكون المجلس الوطني مهيئا على توجيه كافة المؤسسات الفكرية والفنية في البلاد ، والا يخضع لسيطرة الوزارات المختصة .

— ع. السريع :

الواقع ان تمثيل وزارات الدولة في عضوية (المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب) سيكون — كما هو منصوص عليه في قانون انشائه — على مستوى وكيل وزارة . وفي هذا ، كل الفائدة للمجلس ، الذي سوف يجد في وكيل الوزارة خير معاون لتنفيذ وصاياه المجلس ، بحكم وظيفته العليا اولا ، ثم بحكم مساهمته شخصيا في اقرار التوصيات المذكورة .

— س. الشنطي :

افسنا وقتا طويلا في استعراض ما يتعلق بدور المجلس الوطني في الداخل ، وبقي ان نستعرض في وقت اخر دور المجلس ، او ما ينتظر منه في العالم العربي وخارج العالم العربي ايضا . . حيث يؤمل ان يؤدي خدمة متفردة في بابها . مما يحتاج الى وقفة طويلة ، لا بد من ارجائها في افرصة قادمة بان الله .

نقلمها بالمجلة عصام عسيران

اهتمام الناس
بأحداث حياة
مشاهيرهم الخاصة

بعض الشواهد
من حياة المثني
والجواهري

بتسلم / عبدالرزاق البصير



كان لا يتناول الطعام امام الناس ، وانما يتناوله منفردا وانه اكل دبسا ذات يوم ، فوقع شيء يسير منه على صدره دون ان يشعر به ، فلما خرج الى طلابه ساله احدهم : هل اكلت دبسا في هذا اليوم ؟ فهد يده الى صدره ويمسحه وقال : نعم ، لعن الله النهم ! ..

وتد فصل المؤرخون هذه الامور ، تفصيلا كثيرا كلما وجدوا الى ذلك سبيلا ، لمعرفة بان نفوس الناس تشق الى معرفة هذه الامور عن المتفوقين والموهوبين ، ويخيل الي ان سبب هذا الشوق يعود الى ان الناس يتصورون ان حياة النوابغ ربما تختلف عن حياة سائر الناس وان ميولهم وطباعهم اسمى من طباع سائر الناس . لذلك ترى نفوسهم تناس معرفة مثل هذا الامور .

يتشوق معظم الناس منذ اقدم العصور حتى الان لان يعرفوا دقائق حياة الموهوبين والمتفوقين ادياء كانوا او سياسيين او اقتصاديين او في اي ميدان من ميادين هذه الحياة . لهذا نجد اكثر الذين تصدوا لدراسة مثل هؤلاء الاشخاص يعنون اشد العناية بالامور الشخصية لاعتمادهم بان ذلك يشد القراء الى مثل هذه الدراسات ، ويعطي الصورة الكاملة للشخصية التي يدرسونها . فقد كتبوا عن بشار مثلا ان له اخا جزارا كان كثيرا ما يسطو على ثيابه النظيفة ويضع مكانها ثيابا قذرة فيها بقع من الدم والشحم ، وان لبشار جسما ضخما ووجها قبيحا واشياء كثيرة تتعلق باحواله الشخصية . اما ابو نواس فقد اخبرونا عنه بان له خصلتين من الشعر تنوسان على وجتيه وانه ماجن خليع يطلب اللذة حيثما كانت . واخبرونا ان ابا العلاء المعري

أحداث غريبة مزعجة تمدح من لا يستحق المدح
 كي ينال أربه ، ثم عاد وجهاء اذع الهجاء . كذلك
 سعى الجواهري لكي يكون عضواً في مجلس النواب
 العراقي وهو شيء يشبه حب الإمارة ، لكنه ابل
 بتطور يلائم آمال كثير من المشغوفين بحب الزعامة
 في هذا العصر . مما جلب عليه سخط الشباب المثقف
 العراقي حينما دخل المجلس ، ثم انه لم يصل الى ذلك
 الكرسي الا بعد جهد شديد ، إذ انه ابعد أكثر من مرة
 عن التباية ، وكان دخوله المجلس بسبب التأييد القوي
 من عبد الله الوصي على عرش العراق في ذلك الحين .
 وما تجدر روايته في هذا الصدد ان جريدته المسماة
 بالرأي العام أعلنت لقراءها ذات مرة ان الجواهري
 قد نجح في عضوية المجلس وأنه يشكر كل من ساهم
 في نجاحه لكن المرشحين الفائزين أعلنت أسماؤهم ،
 والتأم المجلس دون ان يكون الجواهري معهم ، ولست
 في حاجة الى القول ان مجلساً لا يدخله العضو الا
 برضى السلطة لا يمكن ان يقدم للشعب اي شيء ، وليس
 من شك ان الجواهري عارف بذلك ، ويعلم انه لا يمكن
 ان يتلأم مع بقية الاعضاء لان ميوله تختلف عن ميولهم ،
 لكن حب دخول المجلس قد ملا قلبه كما ملا حب الإمارة
 قلب أبي الطيب المتنبي .

وملاحظة ثانية تعزز الرأي القائل بان نفس
 الجواهري لها شبه بنفس المتنبي ، وهي ان اول قصيدة
 نشرها الجواهري بعد بعض المحاولات الشعرية تشبه
 الى حد كبير هذه القصيدة التي قالها المتنبي وهي من
 أوائل شعره وان كان يستهل قصيدة الجواهري مغايراً
 لمستهل قصيدة المتنبي ، لكن القصيدتين تتشابهان من
 حيث المرامي والاغراض . فكل من الشعارين يعتبر
 نفسه متوقفاً يستحق الإمارة ، وان الناس لا يعرفون
 قدره ، يقول المتنبي :

ما مقامى بارض نخله الا

كقمام المسيح بين اليهود
اين فضلي اذا قتعت من الدهر بعيش مجل التنكيد
ابداً اقطع البلاد ونجبي
في نصوص وهمتي في سمود
 وقال الجواهري :

وحيدا يحامي عن مبادي جمة

اما في البرايا منصف فيوازره
يروم محالا ان يرى عيش ماجد
اوائله محمودة واواخره
فؤادي وان ضاق الفضا عنه فسد
فلا بد ان تحويه يوماً مقابره

بقي امر ملحوظ من ناحية الفنانيين وهو انه ان
 معظمهم كثيراً ما يتبردون على ما يصطلح عليه المجتمع
 من حدود وقعود ، وقد يكون الخروج على بعض القواعد
 من الامور التي لا تليق لانه قد يسبب احتقار المجتمع .
 فلا ينبغي ان ننسى كل اللوم على المجتمع ، ان الاحترام
 يعتمد في جملة ما يعتمد على التقيد ببعض القوانين
 المستولة ، فان الجلوس في الامكان المنحطة ومعايشة
 المردولين من الناس وممارسة بعض الرغبات الجسدية
 بصورة علنية لا بد وان تؤثر على الشخص مهما كان
 نبوغه او تفوقه . ولكن مثالنا مأخوذاً من سيرة
 بعض الشعراء المتقدمين ، لان ذلك ايسر من ان نستشهد
 ببعض الشعراء المعاصرين فلنتصور مثلاً ان ابا نواس
 يعيش في عصرنا الحاضر وان ما نقل عنه من تهتك
 معروف لدى معاصريه ، فهل يفعل ان يتقبل منه المجتمع
 ذلك ، ثم يكون موضع احترام وتقدير من الناس ،
 لا اظن ذلك ابداً ، ما دام الفنان على قيد هذه الحياة .
 اما اذا فارقها فانه يتفصل عن مجتمعه وذلك يجعل
 الناس قادرين على التعلق بنفسه فقط . على اني لا انكر
 ان الفنان بشر من البشر ، تكن في نفسه ميول ورغبات ،
 وقد تكون قوية لا يستطيع الا الاستجابة لها . ذلك
 صحيح ولكن عليه ان يفعل ذلك بصورة غير ظاهرة
 على الاقل . ولما كان الأستاذ محمد مهدي الجواهري من
 الشعراء التواضع ومن الذين اثروا في مجتمعهم العربي
 كله تأثيراً كبيراً تكاد منزلته تبلغ منزلة أبي الطيب
 المتنبي في عصره فقد عني كثير من نقاد الادب ومؤرخيه
 بدراسة شعره وتحليله ونقده . الا ان الاختلاف بين الجواهري
 الدجيلي قد رأى ان يدرس حياته دراسة مفصلة في كتاب
 بلغت صفحاته ٥٠٧ صفحات ، وانت حين تتلح على
 هذا الكتاب تحس كآك قد عشت مع هذا الشاعر
 العظيم وعرفت خفيا حياته ودقائقها ، فالمؤلف يصف
 لك حياة هذا الشاعر وصف المشاهد الخبير فمعظم
 ما جاء في هذا الكتاب حدث امام المؤلف او ان الشاعر
 اخبره به .

ولا بد لي هنا من ان اتوه بان الحديث عن قوة
 شعر الجواهري وخلوده ورومته يكون معاداً لـ
 وقتنا عنده لانه معروف لدى كل من اطلع على اثار
 هذا الشاعر الموهوب ، وانما الذي اهتم به المؤلف هو
 ميول هذا الاديب النابه وتناقضاته وما جرى له من
 أحداث بسبب ذلك تخص حياته الشخصية والسياسية .
 وما اظن اني ابعد عن الصواب اذا قلت ان
 الجواهري لا يشبه المتنبي بشعره فقط ، وانما له
 شبه ببعض طبائع النفسانية ، فقد سعى المتنبي سعياً
 حيناً للإمارة ولكنه لم ينجح في هذا السعي ،
 وانما نجح في إمارة الشعر ، وقد وقعت له من جراء ذلك

للمتنبى بسبب تغير الظروف وتطورها ، فلا توجد في عصر المتنبى محاكم ذات قوانين يحاكم المنهم بمقتضاها ، لهذا نجد ان معاني لفظة الحرية في المعاجم القديمة لا تعني أكثر من خلاص الفرد من الرق او الاسر . في حين انها أصبحت تعني في عصرنا هذا امورا كثيرة منها حرية العقيدة والقول والتفكير والفعل . فهم يقولون ان حريتك تنتهي عند حدود حرية الآخرين . وقد تحدث عنها الفلاسفة كثيرا ، وليس هذا مجال تفصيل ذلك .

ومهما يكن من امر فان ابا فرات قد تعرض لكثير من المحاكبات بسبب قصائده الثورية بل تعرض لآكثر من ذلك ، اذ انه اضطر الى الاغتراب فترات طويلة بسبب قصائده الثورية على ان للجواهري تناقضات غريبة تجعل الانسان يقف عندها حائرا فهو قوي في شعره سواء اكان مادحا لهذا النظام ام ذاك ، فكثيرا ما يهجو شخصية ثم يمدحها ، لذلك مع هذا تعجب بدمه وجهاته . وهذا يدل على طاقة شعرية نادرة . وانت حين تتأمل في سير بعض الموهوبين من الشعراء والكاتب ، تجد فهمم التناقض واضحا ولا سيما في سلوك ابي الطيب المتنبى الذي فيه شبه كثير بالجواهري كما اشرنا الى ذلك ، فقد مدح كافور مدحا مفرسا ، وهجاه جهاد مذكرا ، ومدح سيف الدولة ثم عابه كذلك البحتري فانه كان يهجو بعض قصائده لنفسه الى من يحتاج ان ينظم فيه فيما بعد مادحا او رائيا . وكثير من الشعراء والكتاب جروا على مثل هذا النوال ، غير اننا لا نستطيع محاسبة شعرائنا الاقدمين على مثل هذا السلوك ، لانه كان مألوفاً في تلك العصور ، اما في عصرنا الحاضر فان على الاديب ان يكون له خط واضح يناضل من اجله طوال عمره ، والا فانه يعد اهازيا اذا ما سار في هذا الطريق حين وفي ذلك الطريق المناقض في حين اخر ، وهذا هو السبب في ان الجواهري وهو الشاعر المتفوق فقد كثيرا من مكانته لانه كان يتأرجح في بعض الحالات بين هذا الجانب وذلك ، وعلى اي حال فان الشاعر سريع الانفعال والتأثر ، ثم انه بشر ، له عواطفه وظروفه التي قد ترغبه على ان يسلك طريقا لا يرضاه .

وخلاصة القول فان المطلع على كتاب الاسفاد عبدالكريم الدجيلي لا بد ان يتفكر بتمعن كبيرة ، لان الدجيلي قد رسم صورة كاملة لحياة الجواهري الخاصة . ما اظن ان شاعرنا الكبير قد رضى عنها لانها كشفت لنا عن كثير من حالاته الخفية . وهو امر مألوف عند

الاست ترى معي في ان الشعارين يلتقيان في ميدان كبرياء النفس وعزتها ، وان كلا منهما يرى بانه احق بالزعامة من غيره ؟ ومن الطبيعي ان يختلف الشعاران في شكل الزعامة التي يسعى اليها كل منهما ، فالمتنبى كان يعيش قبل اكثر من عشرة قرون اما الجواهري فانه يعيش في القرن العشرين ، وليس من شك ان الفروق هائلة بين عصرنا الذي يعيش فيه الجواهري والعصر الذي كان يحيا فيه المتنبى ، ولم يكن الجواهري يقلدا لابي الطيب وانما الودائع النفسية التي جبل عليها من عزة واباء تدفق الى ان يلتقي مع ابي الطيب في ساحة العزة والكبرياء . ونحن اذا ما تأملنا في ذهنية ابي الطيب وابي فرات (اي الجواهري) وجدنا فيها تشابها كبيرا ، فقد وهب الله كلا منهما حافظلة تستوعب كل ما يلقي اليها ، فانها تستطيع ان تحتزن ما تسمعه بصورة سريعة تدعو الى الإعجاب .

يقول الرواة : ان احد الورتين اخبره ان ابا الطيب كان عنده يوما فجاءه رجل بكتاب مؤلف من نحو ثلاثين ورقة ليبيعه ، فآخذ ابو الطيب الكتاب واتقبله براجع مسجلته . فلما صل صاحب الكتاب ذلك استجله قائلا : يا هذا لقد عطلفتني عن بيعه ، فان كنت تبني حفظه في هذه الفترة القصيرة فذلك بميد عليك . تسال المتنبى : فان كنت حفظتله فما لي عليك ؟ قال الرجل اعطيكه . قال الوراق فامسكت الكتاب اراجع مسجلته والفسلام يتلو ما به حتى انتهى الى آخره . ثم استلمه فجعله في كمه ومضى لشأنه . .

وروى الاسفاد عبدالكريم الدجيلي قائلا (١) ان الجواهري كان بين ١٩٢٠ الى ١٩٢٦ في النجف مفتوقا على لداته واقرانه ، ويمتيزا عنهم بكثره الانتاج ، وسرعة الخاطر ، وسعة الاق ، وقوة الحافظة . فقد اخبر على ما اذكر في حفظ ٤٥٠ بيتا من الشعر في ثمان ساعات فاجاز هذا الاخبار وكسب الرهان . فقال الاسفاد الدجيلي ايضا . كنت اراه مع نخبة من لداته فكثروا يجتمعون للمطارحة الشعرية او التقفية . وكان الجواهري في جانب وجميع الحاضرين في جانب اخر . فما رايتهم يوما ما قد تغلبوا عليه في هذه الميادين . فهو الجلي في كل حليلة ادبية وفي كل سباق شعري . وما رايت احدا يزه من لداته وتخطاه . وكما ان المتنبى لا يرضى ان ينشد شعره قائلا امام الرؤساء والملوك ، كذلك نجد ابا فرات يابى ان يعرض قصيدته على اي لجنة تشكل للنظر في ما يلقي من شعر في الاحتفال . وثمة موافق للجواهري لا يمكننا ان نقارنها بموافقت

بعض المشاهد
من حياة المتنبي
والجواهري

اهتمام الناس
بأحداث حياة
مشاهيرهم الخاصة

الغريبين ، أما عندنا فإن الحديث عن الحياة الخاصة يكاد يكون محرماً ، فنحن نريد من الفنان أن يرتفع عن مستوى البشر بحيث لا يمارس ما تقتضيه طباع الإنسان ، وهذا أمر يعني أننا نخاف أن تظهر لنا الحقيقة بأجلى صورها . ولكم دعا الكثير منا إلى محاربة هذه الحالة ، لكنها متأصلة فينا مع الأسف الشديد ، وفي اليوم الذي نستطيع أن تغلب عليها نكون قد انتصرنا على مشكلة طالما خلقت لنا كثيراً من المعقبات . واي مرض افئتك من خوف مجابهة الحقيقة ؟؟

عبدالرزاق البصري

ادراك

شعر الدكتورة
عاتكة الخورجي

يا للجبين الصَّلْتِ ما أَوْصَحَه !..
والوجه .. يا لله ما أَصْبَحَه !..
والخَدَّ .. قد لَوَّحَ في سمرق
سبحان من بالسكر قد لَوَّحَه !..
أفديه من حسن بنا سرَّة
أخشى عليه الحبُّ أن يفضحه !..
رَفَّ رقيقاً كرفيف الندى
يكاد لحظ الغيد أن يجرحه ..
يعبث بالعنَّاق من عَجْبِهِ
كأنَّهم من حَرَزَ المسبَّحه !..
يُدِلُّ والدُّ جيلَ به
يا كبرياء الحُسنِ ما أَمْلَحَه !..
يضنُّ باللهجة من وجهه
وَيَلِي أَيَّخْشِي العينُ أن تلمحه ؟..
الحبُّ .. لو كان شنيعي له !..
أما أني للغرَّ أن يُنصَّحَه ؟..



الشعراء يأتون من الصيف

بمعلم/طارف عبدالله

الانتخاب بواسطة البريد ، لان عملية الانتخاب في حد ذاتها أصبحت عملية مبتذلة . « لا أدري ما يعنيه بذلك ، لكن ينظر الناخبين الذين حملتهم « المباشات » والقطارات من لندن وانحاء بريطانيا الى اكسفورد .. ثم انعاش اللقاة يشرب الانتخاب وبالحماس جعل وين يقترح البريد . الوسيلة الأرخص والأهدأ ! ولكن الامر يختلف بالنسبة الى اكسفورد ، فالمقاليد لها قداستها .. وانتخاب استاذ جديد للشعراء من المناسبات النادرة التي يهجر فيها الشعر عزله وخصوصيته لكي يصبح مثار الاهتمام على النطاق الجماهيري الواسع ، وعملية سياسية بحثة — كالعادة للبرشحين ، وجميع الاصوات — فالصحافة كتبت ، والتلفزيون ذكر الخبر ، ومحطات الاذاعة قالت . قبل ذلك جرى التنافس الحاد بين المرشحين .. أبرزهم جون وين وستيفن سيندر ، احتشد الشباب ، القوا بكل نقلمهم وراء جون وين ، أبرزهم شعراء ما بعد الحرب الثانية من امثال فيليب لاركين وبيتر ليفي . واحتشد الشيوخ وراء ستيفن سيندر ، سائده وايد كبر المفكرين والشعراء مثل السير آيزيا برلين والشاعر دبليو . هـ . اودن . وبين مرشح الشباب ضد سيندر مرشح « المؤسسة » ، سيندر ، الذي غضب في الثلاثينات مع اودن ينتمي الى نفس المدرسة التي يمثلها ايضا روي فولر ، استاذ الشعر الحالي وهؤلاء لا يطبقهم الشباب بسبب اقتيائهم على مجد ثورة في عالم الشعر تقوعت حول ذاتها منذ الحرب الماضية . سيندر كان عضوا في الحزب الشيوعي ، ثم هجر الحزب (قال سيندر بعد ذلك انه كان عضوا في الحزب لمدة دقيقة واحدة !) .. وارتبط

مع بدايات الصيف الانجليزي الجميل تزدهم مفكرات الناس في اكسفورد بالمواعيد وجداول العمل ، فالجامعة تهيء نفسها لوداع الفصل الاخير من العام الدراسي ولاستقبال عطلة صيفية طويلة . ولكن حدثا غير عادي كسر وتيرة الحياة هنا ، وهو انتخاب اسم جديد لاء مقعد استاذ الشعر في الجامعة . جرت الانتخابات وفاز الشاعر جون وين بالمقعد الذي يفانده الشاعر روي فولر في نوفمبر القادم . وبالتحديد جرى كل شيء في هذه الجامعة العتيقة ، حتى رئيس الجامعة الحالي هارولد ماكيلان ، رئيس الوزراء الاسبق ، جرى انتخابه عن طريق الاقتراع السري . والذين لهم حق الانتخاب هم فقط حملة الـ (M.A.) من خريجي الجامعة . والمؤهلون لهذا اللقب هم الطلبة الذين حازوا على الأقل على درجة الـ (B.A.) من اكسفورد وضمت سنتان على تخرجهم ، وبعد ان يدفعوا رسما معيناً . لذلك لا تعتبر الـ (M.A.) من اكسفورد درجة علمية ، لكن يقابلها الـ B.Litt. وهي التي يتأهلها طالب الدراسات العليا بعد سنتين من البحث العلمي على الأقل ، وبعد تقديم رسالة في موضوع معين . هناك ثلاثون الفا من حملة الـ (M.A.) جاء منهم حوالي سبعمائة وخمسون للاشتراك في عملية انتخاب استاذ الشعر الجديد . وقفوا في طابور طويل بعد ان انتهوا من تناول الغداء في كلياتهم القديمة .. وتحرك الطابور الى المسرح « الشلوثني » ، ذلك البناء الدائري المصمم على الطراز الاغريقي وبنيت منه عتق الماضي ، عنوان الحياة في اكسفورد . قال جون وين بعد ان فاز : « اقترح ان تجرى عملية

اسمه بمجلة « الاكوانتر » ، التي استقال من رئاسته تحريرها بعد الفجوة التي ثارت حولها بسبب الكشف عن ارتباط المجلة بالمنظمة العالمية لحرية النقاشة التي تولها المخابرات الامريكية ، وفي الفترة الاخيرة قلت كتاباته .

جرت كل هذه المنافسات والمناقشات وفاز جون وين ، لكي يعبر عن رغبة الشباب في وضع نهائية للتقليديين من جيل الثلاثينات ، شربوا الانتخاب وتبادلوا النهائي ، جون وين وجه شعبي ، مرح وغوي تستوفته في اي مكان في اكسفورد وتبادل معه الاحاديث . يشارك على كتفك وبضخ بصوت عال بعد ان يسمع منك ، او يسمعك نكتة او حادثة طريفة !

في نوفمبر القادم يصبح وين رسميا استاذ الشعر السابع والثلاثين ، ويتابع لدة خمس سنوات اخرى تقليدا عمره قرنين ونصف من الزمان ، فلقد انشئ كرسي الشعر في الجامعة في عام ١٧٠٨ والمهيات الملتاة على عاتقه هي ثلاث محاضرات عامة في السنة ، والتحكيم في المسابقات الشعرية في الجامعة وتوجيه الشعراء الناشئين . وين يستعد منذ الآن ، يقول في محاضراته الاولى سيتحدث عن الشعر بشكل عام ، في الثانية سيتناول شعراء معينين وفي الثالثة سيتحدث عن شعر الناشئة . وهو يهتم بالشباب كثيرا . لدرجة ان ادخل تحت زمره « الشباب الخسنيين » ، لكنه يكره هذه الماركة (لانه لا يريد ان يكون مضمويا تحت اسم جون اوزبورن . كتب اوزبورن مسرحيته الشهيرة « انظر وراك غضب » بعد حرب السويس ، وجمع حوله الشباب الغاضبين . الا ان وين الشاب . . الغاضب ، قد برز في منتصف الخمسينات بكتاباته الجدة اي في نفس الوقت الذي ظهر فيه اوزبورن . نظرية وين في رفض (الماركة) ان كل جيل من المجددين غاضب . . حتى اودن وسبندر وغولر غضبوا في الثلاثينات . مزينة وين انه مجدد . . وفيهم وظيفة الجديدة — على حد تعبيره — « يجب على المرء خدمة فن الشعر على كافة المستويات في الجامعة ، وتشجيع المناقشات الذكية بالانصاف الى مساعدة الشعراء الناشئين . اللغة الانجليزية — يقول وين — تجابه خطورة الغناء . لم يشر كيف . . ربما تكون الاجابة تقريريا اعذته اليونسكو قبل سنين حول الترجمات من اللغات المختلفة الى اللغة الانجليزية . في التقرير ان الانجليز لم يعودوا كما كانوا . في الماضي كانوا يترجمون الكثير . . والان يأتون في اخر القائمة . ولكن ربما يكون هذا مختلفا قليلا عما يتقدمه جون وين الذي يتمتع عنده الاحساس باللغة الى درجة اختراع الفاظ جديدة وتعبيرات غير بالوفة ، لكنها محبوبة .

كيف وصل وين ؟ سار على درب غير قصير ، تلقى تعليمه الجامعي في كلية سانت جونز بجامعة اكسفورد ، وبعد تخرجه اصبح زميلا للكلية من ١٩٤٦ الى ١٩٤٩ ، ثم عمل في جامعة رندل القريبة من اكسفورد لمدة ثمانية سنوات كمحاضر في الادب الانجليزي ، في ١٩٥٥ استقال وتفرغ للكتابة . في العام الماضي كان زميلا لكلية بريزنوز باكسفورد حيث عهد اليه رعاية الفنون الخلافة . وين ناقد ، شاعر وروائي . كتب روايته الاولى تحت عنوان « اسرعوا الى هنا » ، تلتها رواية « السماء الصغرى » ، بعدها ظهرت روايته « الشتاء في التلال » ، التي تصور الشعور القومي في ويلز وتعصب اهل ويلز الى لغتهم . . زوجة وين ويلييزة ، كتب وين ايضا قصصا قصيرة في مجموعات امها التي نشرت تحت عنوان « نكل » وهي تحريف من كلمة « انكل » . اهم قصائده الاولى هي التي يمكن ترجمتها تحت عنوان « السبل الوردية » ، وهي قصيدة طويلة يستخدم فيها الشاعر تجربة جديدة لاكتشاف اصوات الشعر الانجليزي . ايضا قصيدة « ايك للالهة » . . نشرها جون وين في مختاراته الشعرية . . من قصائده المشهورة ايضا « رسائل الى خمسة كتاب » ، وهي قصائد وجهها الى خمسة من اصدقائه الشعراء والكتاب . اخر عمل لجون وين ، قصيدة طويلة موضوعها الرئيسي يدور حول عم هاملت الشرير ، يعتقد وين في كتاباته لهذه القصيدة على نفس المصادر المتجولة — سانسكونية التي اعتمد عليها شكسبير في كتابة مسرحيته الشهيرة هاملت . نشر وين الجزء الاول من هذه القصيدة اجزاها . جون وين كتب ايضا عدة مقالات نقدية نشرها في كتب الاشتراك مع آخرين ، او مقدمات لكتب ، كذلك وين هو الناقد الادبي لجريدة الاوبزيرفر . وين يقرأ الفرنسية ، نشرت له عدة ترجمات في فرنسا وهو شاعر ايضا في ايطاليا ، ترجم الى العربية في مجلة شعر عامي ١٩٦٢ و ١٩٦٣ ومجلة مواقف في ١٩٧٢ .

لقائي الاول بجون وين كان قبل سنتين حينما اشتركت معه في ترجمة عدة قصائد من العربية الى الانجليزية . لقاء جون وين مع الشرق ربما كان قبل ذلك بسنة او سنتين ، حينما اشتركت في مشروع دولي لترجمة شعراء من البلدان الاسلامية . المؤسسة برزت الى حين الوجود في عام ١٩٧٠ ، بجهود الدكتور زيتونة ياسينة عمر ، المشرقة على مشروع الترجمة . الترجمات المختلفة تضمنت خمسة وسبعين شاعرا يكتبون باللغات العربية والفارسية والتركية والاريدية . قام بالترجمة خمسة وعشرون مترجما وشاعرا من الشرق والغرب . تقوم الدكتورة زيتونة عمر بتنسيق هذه الترجمات

الظل

شعر /

الشيخ محمد رضا آل صادق

الليل المثلث بالهم ..

المفتش نجمر على صدري

يحمل رمح الصمت العريان المتصدىء

مناعب كالأطفال المرمي .. على ارض الذعر

وانا ابحت عن وجهي المتهريء

أبحث عن اوراقي المكتوب عليها اسمي الساهم

فلعلي اوقف فيها الحرف النائم

لكن الليل الهائم

يمضي مربداً لا ينفك بليد الخطو

فيعكر نهر النور العذب ويخلق اطياف ..

العطر ...

فأصبح أصبح بحنجرتي المشنوقة ..

يا روح الفجر ..

لوح بوشاحك فالصوت القادم

من خلف الاسوار الظماء الهرمة

يبسط في الافق جناحيه ..

يعزف لحن الحب ويشدو ..

يتراكم في درب الآلام ويرقص للظلّ الحالم

وتحريرها تهيدا لاصدارها في كتاب تحت عنوان
« مختارات من الشعر الاسلامي » ، باللغة الانجليزية .
جون وين ينظر الى ترجمة الشعر من زاوية
جديدة .. ويؤمن بان شعراء الشرق الاسلامي يجب ان
يكون اكثر شهرة في الغرب .. وين يقول بان الترجمة
يجب ان يمر عليها شاعر ينتمي الى ثقافة اللغة التي
ترجم اليها القصيدة ، بلمساته لكي يجعلها جميلة
ومقبولة للذوق الاجنبي . واعتقد انه يقترب من الحقيقة
في هذا القول ، خاصة اذا نظرنا الى ترجمات عديدة
للشعر العربي الى الانجليزية مثل ترجمة نجيب الله في
كتابه « مختارات من الادب الاسلامي » ، واذا اخذنا
بعين الاعتبار ايضا ترجمات آربري للشعر العربي
القديم . وعلى هذا الاساس اشتركت مع جون وين
وشعراء آخرين في ترجمة عدة قصائد من العربية الى
الانجليزية ، كذلك ساهمت معه في مهرجان الشعر
الاسلامي في لندن قبل سنتين حيث اشتركتا معا في القاء
قصيدة من الشعر العربي . مر جون وين بلمساته على كثير
من القصائد العربية المترجمة ، من بينها قصائد لاحمد
العدواني وعلى السبتي .

طارق عبدالله — اكسفورد

إذا أصبح كل خميس ..

« الراشد »

الصادرة

من جمعية العلماء العرب

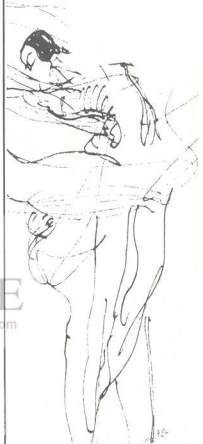
في الواجهة

تترامى في القاعة الملساء
واكتناز من صدرها واهزاز
وانحسار من شعرها وارتقاء
وانكسار من طرفها في اعتداء
كل عضو فيها يزجر بالفتنة في رقصة الهوى الهوجاء
فهي في السباق مثال ما هي في العطف انتصار للقائمة الهيفاء
وانطلاق من الفيود بديع وانتشاء - في قمة الانتشاء

بالها رقصة من الشبق الصاحب قد جاد عارما بالعطاء
صاغها الليل في نسج من الشوة يغري بالكاس والصهايا
وبهيموبة الحساين تجلونا علينا في الحلة الحمراء
حين نخال يهنة في اعتدال ثم تنساب بسرة في التواء
ثم تنهال ثورة في اندفاع ثم تنهار عثرة في ارتقاء
كاكلكار الصريع قد غاله السهم وقد غاص ريشه في الدماء

من رأى الواجهة النديفة في الصحراء تهتز بالشذى والماء
وبابائها الرخية قد طاف على طيرها نسيم السماء
في حقول من البنفسج تداح طيوبا في المقلبة الزرقاء
وضفاف من الشقيق تشوق القلب نحو المرائف اللوواء
قد غرقتنا بعطرها فسكرنا بالشذى من رحيقها والرداء
وشربنا الغبوق حتى اتي الفجر فدار الصبوح حتى المساء

ما درى الليل اننا قد نسينا فرحة الليل بالهوى والمقاء
وحبسنا الاحسان في الوتر الصامت الا بقية من غناء
تنسلى بها اذا ما ذكرنا كيف كنا نطوف بالحسنا
ونرى في الجمال نشوتنا الكبرى ، بسواء في الشبح او في السخاء



شعر
الدكتور
محمد عبده
غانم

مناجاة القلب الحزين

قصة قصيرة
محمد يوسف القعيد

في منزله ، كانت الحجرة مظلمة ، ثمة لمبة جاز صغيرة في كوة بالجدار المقابل ، غير أن الظلال الكثيرة لرؤوس واجسام تروح ونجيء مع النور الباهت ، كانت تفرش الحجرة كلها ، فتبدو مظلمة . وبعد ان الفت عيناه الظلام ، بدا له الامر كله ، زوجته ممددة على الارض ، ضئيلة لحد الموت ، كانت عينها تنظران الى مكان ما في السقف ، وكان تنفسها واهنا لدرجة انه تصور انها ماتت .

— ما لها يا جعاجة .
لم يتطوع احدهم بشرح الامر له ، قال كل منهم كلمة ، كانت الكلمات مهوشة ، وبلا ترتيب ، غير انه فهم الموضوع كله . زوجته مريضة ، اكتفوا بقولهم انها مريضة ، اما ما هو المرض وكيف بدا الامر ، فلم يكن هناك ما يقال ، فالمرض يبدو لهم وكأنه ليست له بداية محددة وليست له ايضا نهاية في يوم ما . اعاد نظره في الجالسين حول زوجته ، كان هناك تساؤل يربو على شفثيه كالظير الحبيس ، كان يوده ان يسألهم المشورة ، لم يكن يعرف ما يجب عمله . قال احد الجالسين انهم فعلوا المطلوب طوال النهار ، فالمرض قد ناجاها وقت الضحى ، وطلبت هي منهم ان يرسلوا في طلبه ، خوفا على اليوميه .

— والله العمل دلوقت ؟
نظروا كل رجل الى الواقف بجواره ، رفع اكثر من رجل ومن يده الى راسه ، علامة انه يفكر في الامر جيدا .
— لازم الدكتور .

— دكتور ؟
البلدة صغيرة ، صغيرة جدا ، نقطة باهتة لا حجم لها على خريطة الوادي ، وليس فيها مستشفى ، بل تتبع الوحدة المجعة في بلدة تربية ، والطبيب فيها يسكن في البساتير البعيدة ، وما او يؤذن الظهر ، حتى ينظر الى ساعته ، ويخلع البالطو الأبيض ويرمي الساعة . انه مسافر الى البندر ، وبعد سفر الدكتور بتقائن يبدو القسم الصحي لمن يراه ، وكأنه مغلق منذ الف عام مضت . في دقائق قليلة ، يكون المرضى قد طردوا ، « الدكتور مسافر خلاص » هكذا يقولون لهم . وترفع الكراسي والمناضد وتعلق الابواب ويكتس القسم جيدا ، ويذهب كل لحال سبيله .

— والعمل ؟
يتسأل محمد ابو ابراهيم من جديد .
— لازم الدكتور ، الوليه بنموت .
— بس الدكتور في البندر .
يحاول ان يفتح فيه ، ان يوضح الامر للواقفين

عندما عاد محمد ابو ابراهيم من الحقل ، في المساء ، فوجيء بجمع من الناس امام بيته . دهش ، اسرع في سيره ، نبت في داخله اكثر من تساؤل ، وحاول ان يتصور ما يمكن ان يتسبب في جمع هذا العدد من اهالي البلد امام منزله . وعندما اصبح على عتبة داره ، لم يشعر به احد . كانت الناس في داخل المنزل اكثر منهم خارجه ، حاول ان يبعد الاطفال والصبية المتراحين ، كي يوجد لنفسه طريقا يدخل منه ، تتحنع اكثر من مرة ، وضع الفأس على الارض .

— فيه ايه يا جعاجة ؟
رفع صوته كي يشعر اهل البلد بوجوده ، وبأنه عاد اخيرا من الحقل ، وبأنه متعب مهود الحيل ، يود ان يرمى نفسه ، وينام نومة لا يقوم منها .

— فيه ايه يا جعاجة ؟
هذه المرة فقط سمعوه ، واتجهت اليه الانتظار ، ودون ان يدري ، ارتفعت يده الخشنة وعبث بشاربه الكثر ، ونزلت اصابع يده ، لتلمس على ذقنه الطويلة . رد اكثر من واحد :

— مراتك .
وقبل ان يسأل عما حدث ، اشارت الايدي والعيون الى الحجرة الداخلية ، وهي الحجرة الوحيدة

انها دوخة بسيطة ، وانها ستشفى بعد ان بشرط لها ،
كى يصرف الدم الفاسد ، ذهب الى دكانه وعاد ، كانت
معه حقيبة ، وشرط لها الحلاق بالموسى اكثر من
شرطة في جيبها ، وعندنا سال الدم ، اشار له الحلاق
وقال انه دم اسود ، وهو دم فاسد ، بل وهو السبب
في الدوخة التى حدثت لها .

تقدم النهار ، ولم تتحسن حالتها ، وتطوع اكثر
من رجل ، وتطوعت اكثر من امرأة ، بوصف وصفات
كثيرة ، وذهب الجيران الى منازلهم ، واحضروا المطلوب
وعملوا اللازم ، غير ان حالتها لم تتحسن ، لدرجة ان
قال احدهم ، ان الحكاية ليست حكاية مرض ، وانها
يجب ان تذهب في المساء الى الشيخ عبدالمقصود ، وفي
الحضرة سيؤزل التعب ويذهب المرض . وقال الجميع ،
انها غلبانة ، وان زوجها رجل على قد حاله ، وان
الشيخوخة قاسية وان عمرها مع زوجها لا معنى له ،
وهما معا بلا اطفال وبلا ارض وبلا امل . انه شيء
مفزع الى ابعد الحدود .
بعد قليل ، تركوها وانصرفوا ، بل انهم منذ البداية

حوله . الطريق طويل ، ولا توجد مواصلات من الان
وحتى الصباح . الليل وقت الهجوع والنوم والراحة ،
حتى الشياطين تستريح فيه ، ولا توجد عنده ركوبه
كى يذهب بها الى مستشفى المركز ، كان يود ان يكمل
انه ليست معه نقود بالماله ، ولا بليم واحد ، لا معه ولا
في بيته ، ولا في اى مكان في العالم . غير انه توقف
عندما اثبت ان مجروح من زوجته ، تمثل كل منهم
لحظة سماعه كلمة الاله معنى الالم ، معنى ان يتسلم
الانسان ، ولا يكون هنالك امل سوى في الانتظار حتى
الصباح ، تطوع احدهم بان سلفه ركوبه ، وتطوع
اخر بحراسة بيته حتى يعود ، وذهب ثالث الى بيته
وعاد ويديه ريع جنبيه ، اترضا له حتى يفرجها الكريم .
وعكذا ، وقت الجميع وخطا محمد ابو ابراهيم خطوتين
داخل الحجرة كى يحضر مداسه وجلبابه النظيف .
وامام باب داره ، عاوسوه في حمل زوجته ،
واركبوها على الحمار ، ودعوا لها بالشفاء العاجل ،
وبطول العمر ، ويسار بجوارها ، كان يسدعا كى
لا تقع . ويسوق الحمار ويرشده الى الطريق .

الوقت هو اول الليل ، وفي الشارع الرئيسي ، كان
الرجسا يجلسون على المصاطب وامام دكانين البقالة ،
كان الكل ينظر اليه ، ويبدو انهم جميعا كانوا يعرفون
حكايته ، ومن الراديو سمع صوت رجل وامرأة . كانا
يتحدثان ويشحكان . كان صوتها/موسى يصرخ
وهدهو لم يعرفها طول عمره ، كان الحديث عن نظافته
شوارع ، وتعطل اجهزة التكيف في سينات الدرجة
الاولى ، وضيق مكان انتظار السيارات امام الشيراتون ،
وعدم توفر ادوات التجميل المستوردة في المحلات
المعامة .
لم يفهم من الحديث كلمة واحدة .

— ٢ —

عرف الامر كله ، وهو يرتدي ملبسه . في الصباح
كانت زوجته تكس وسط الدار ، كانت كالسلة وفي
يدها مقشة صغيرة ، وكانت تكس في احد الاركان .
وفجأة ، توقفت عن الكس ، وضعت المقشة على
الارض ، ووضعت يدها على ظهرها ، رفعت راسها
الى اعلى ، بدت كأن راسها سيسقط من فوق الكتفين ،
فستدته يدها . صرخت ، خرجت الصرخة واهنة ،
ضعيفة ، ثم سقطت على الارض ، وظلت في رقدتها الى
ان راتها جاريتها وصوتت وحضر اهل الحي كلمه .
قالت جارته ، انهم بمجرد ان ارتدوها في الحجرة
الداخلية ، احضرت لها حلاق الصحة ، كتف عليها ،
اجلسها ، فتح عينيها ، سمع نبضات القلب ، وقال



الضوء الباهر ، وراح يرض الكليات التي سيقولها للدكتور على طرف لسانه . ذلك انه بعد ان يصل الى المستشفى ، يربط الحمار في حديد السور الخارجي ، يربطه جيدا ويثبت العقدة على الحديد كي لا يسرقه احد غاويلا الحرام في البنادر لم يتركوا اولاد الحلال شيئا . يحمل زوجته على ذراعيه (كم ذكره ذلك بليلة الدخلة ، ليلة ان حملها من الحمل حتى حجرته على يديه . كان ذلك منذ ثلاثين عاما ، وكانت الايام حلوة ، وكان هو شابا قويا ، وكانت زوجته فتاة رائعة ، رغم الفقر . كان لكل شيء طعمه الخاص . اما الان) .

في الاستقبال يضعها على الارض ، والارض البلاط تذكره بهواء الجلة الرطب ، يجلس بجوارها ، ينتظر حضور الطبيب ، ويحضر الطبيب ، ينظر اليه ، وقد يركله بقدمه .

— مالك يا راجل انت .

في هذه اللحظة ، يقف محمد ابو ابراهيم بمتد امام الطبيب ضخما كاللارد ، يبلع ريقه ، يد يده ضارعا للدكتور يحاول بسرعة ان ينتقي احلى الكلمات التي سمعها طول عمره (هنا حاول محمد ابو ابراهيم ، ان يتذكر الاربعة التي يسميها ، عادة ، من الراديو ومن خطاب المسجد يوم الجمعة ، ومن الشباب الذين يتعلمون في البنادر البعيدة) .

— يا سعادة اليه .

تدق قاطعة الدكتور ، وقد يتركه ويتحدث مع اخرين في الاستقبال في مستشفى المركز مهتلى دائما باناس من كبار الخلق ، غير انه سيعاود الحديث ، وسيقول كلمات احلى من الكلمات التي تدور في ذهنه الان . حتى يلين قلب الدكتور ويعالج زوجته .

في الطريق ، بدأت زوجته تفيق ، وخرجت من بين شفتيها عبارات صغيرة ، كلمات مكسرة بهيمنة ، استدارت معانيها في ذهنه بصعوبة بالغة . قالت له: انه متراشع البال لانها ستبوء بعد لحظات ، ثم يتزوج هو من امرأة اخرى ، تنجب له طفلا يحمل اسمه ، وانه لم يكن يجبهها ولم يكن يعاشرها كالآباء .

احس محمد ابو ابراهيم ، ان الكلمات تفوص في روحه كالكساكين ، حاول ان يقول لها انها على حق ، وانه نسامد على ما حدث ، غير انه صمت ، تمثلت له وهو سائر بجوار الحمار اشياء كثيرة ، تزوجها لانه كان يحب ان يتزوج . ومن اليوم الاول كان عليه ان يذهب الى حقول الاخرين كي يعمل بالاجر . وفي طريق عودته لم يكن يذكره بامر زواجه سوى الخنا العجاء في كف يده وقدميه . وعندما عاد الى منزله ، لم يحدثها عن شيء ، لانه لم يكن هناك كلام يقال ، وعاش

الاولى ، ومنذ ان حضروا ، يفكر في اعمال ارجنت ، واشغال يجب ان تتم ، وبعد ان حضر الحلاق وبشي ، وقال كل منهم ، ما كان يود قوله ، حتى فكروا في الانصراف ، غير ان احدا منهم لم يشأ ان يكون هو المبادي بترك المنزل . الى ان قامت واحدة ، وفقت تباها ، نفخت التراب من فوق ملابسها ، استأذنت واعذرت بان عندها اولاد صغارا ، وزوجها في الحقل يجب ان تجهز له غداه

تقبل العصر ، كانت كلمات آه ياتي ، وياناس ، ويا عالم ، ويخالق هو ، تبال الصي في البدايعة ، لم يتصور احد ان الاموات العالية تصير من المرأة المريضة غير انهم بعد ان حضروا اليها ، ادركوا ان الالم عاودها اكثر من المرة الاولى . فجلسوا حولها ، وراحوا يتسامرون الى ان حضر زوجها .

— ٣ —

في الطريق ، كان الليل والنجوم البراقة . وفي الظلام لم يكن يبدو سوى مجرى مائي يلعب تحت نور النجوم الفضي اللامع ، وعلى البعد امامها ، ثمة انوار باهتة صغيرة كحبات الخرز ، تلعب وسط الظلام . وكانت الارض في كل التواحي حولها ، حفرية باردة عميقة ، لا حد لمعقتها ، انها مثقلة بذكريات الربيع والصيف ، وتنتظر في نفس الوقت الشتاء القادم الذي لا يمر منه ابدا . لقد كانت الطبيعة من حولها تتر بايام الخريف .

وفي الحقول الواسعة ، لم يكن هناك صوت سنانة تدور ، ولا نباح كلب ، ولا غناء فلاح بيلا رحابة الليل ، ويبدو وحشة الظلام للدم ، ويتغنى بكلمات عن المرض ، والعليل الذي طال اشفياته للعلاج ، وخيانة الاصدقاء .

كان امامه ومن خلفه جسر طويل ممتد ، لا يدري اوله ولا اخره ، شعر بانه يتعب ويهتود الجبل ، وغير قادر على المشي ، حاول ان يسرع في سيره . كانت زوجته تن ، انبعاثا متقلبا ، لم يكن يخرج من فمها سوى كلمة آه ياتي ، وعندما ازدادت تاوهات ، حاول ان ينتسح فيه ، ان يكلمها غير انه لم يجد ما يقوله ، واكتشف في هذه اللحظة ، انه لم يوجه لها كلمة واحدة . طوال الطريق فكر في ان يقول لها سلامك ، او ان يقصر الطريق بكلمة او كلمتين ، غير انه لم يكن قد تعود على الحديث معها من قبل .

بدا الطريق طويلا الى البندر ، وراح محمد ابو ابراهيم يتخيل الطريق كله ، وراح يتذكر اخر مرة سار فيه . وحاول ان يحسب ما يستغرقه الطريق من ويب . وغرق بخياله في انوار المستشفى واعطى عيبيه .

معها ، وعاشت معه ، كان يذهب الى حقول الآخرين . يعمل بالبوذية ، كل يوم في حقل . اما هي فكانت تذهب الى منازل الآخرين تعمل باكلها ، وبعض الزاد . עוד به الى زوجها آخر النهار .

ان محمد ابو ابراهيم يكتشف كل هذا الان ، دفعة واحدة . ويتقسم انه لو امتد بهما العمر بعد هذه الليلة ، لتغيرت حياتهما معا . لقد انقضت اهم سنوات العمر . غير ان هذا لا يهم كثيرا . حتى لو بقى لهما من العمر يوم واحد ، يوم واحد فقط .

— ٤ —

قرب البندر ، او هكذا خيل السبب ، طلبت منه زوجته ان يوقف الحمار ، اوقفه ، نظرت الى الليل ، والحقول الواسعة ، الاشجار الواقعة في صمت ، مجرى الماء الذي يلعب وسط الظلام طلبت منه ان يعود بها الى البلد . اعترض . لقد اوشك على الوصول ، وانوار المستشفى ها هي وهناك السرير والطبيب والطمع ورائحة الدواء والماء والصابون والمطهرات . قالت له لا سائدة ، لن تبوت الا في البلد ، حاول ان يكل طريقه الى المستشفى ، رفضت وهددت بان ترمي نفسها من فوق الحمار ، حاول ان يشرح لها ما يسود قوله ، لم تسمعه ، اصرت على العودة الى البلد . احس محمد ابو ابراهيم فجأة ، وبدون مقدمات ان حياته كلها تنقلص وتنحصر الى نقطة واحدة من الالام التي لا يمكن احتماله . كان هو الآخر بالفلم يائسا من المستشفى ومن الدكتور ومن الانوار الباهرة ، والمبنى العالي . وكانت كل مسباتي البندر مرتبطة في ذهنه بالاهانة والشتيمة والصع على النفس . بل انه يتذكر الان ان احدا من اهل البلد لم يدخل المستشفى ، وخرج منه على تدبیه . كلهم خرجوا على نقالة .

ترك مقود الحمار ، استدار الحمار ببطء ، وسار في الطريق ناحية البلد ، كان الجو ساكنا ، ثمة وشوشات بين اغصان الاشجار العارية من الاوراق . وكانت الحقول خالية الا من الاخصاص والعشش التي كانت تبدو متراكبة وسط ظلام الحقول . كان هواء الليل ثقيلًا . ووجد محمد ابو ابراهيم نفسه يقول لزوجته .

— فأكبر يا ام ابراهيم يوم ما خطبتك .

— آه .

اشحكتا حديثه ، توقف امام كلمة ابراهيم . وابراهيم هو امنية عمرها المعلقة في اساق العيون المكتوبة على الجباه . الابن الذي لم يوجد في يوم ما ، الا في احاديثها ، خرجت الضمخة من فمها خافتة ، غير محددة الملامح ، اقرب الى الانين ، ومن الضحك ، نبعت عيناها وحلبت برائحة الملابس الجديدة ، وليسلة

الدخلة ، والحنة الحمراء . ودت ان تقول له انها في لياليها الاولى معه ، كانت تخافه لحد الموت . وكانت بمجرد ان تمند يده الى اي جزء من جسدها حتى يتشعر بدنها ، وتشعر برغبة في القىء . في الليلة الاولى لدبت في ركن الحجر من الخوف حتى الصباح ، وبدا لهما الليل رحلة عذاب في انتظار طلوع النهار . وعندما كانت تبدو منه اي حركة خلال نومه كانت تقترب اكثر من الجدران تطلب منها الامان .

— مالك يا ام ابراهيم .

نظرت اليه ، لم تقدر على ان تفتح فمها ؛

— المشوار لسه طويل يا اصيلة .

ارتعت نظراته على ليل لمفعم صامت ، ان محمد ابو ابراهيم يسير بجوار الحمار ، بهبور الانفاس ، ويتكلم بصوت سريع متهدج ، كانها قد نجس من حريق ، او انقض من غرق ، ويمبر عن نفسه بعدم تكلف وبشكل يشبه ساذجة الاطفال . سالها ام ابراهيم . الحقيقة انها لم تمرض اليوم ، ولا الامس ، انها مريضة منذ سنوات مضت . سنوات طوال وهي تنن وتتوجع وتقول آه يائي وباتاسي وبيا خلق هو هه وبيا حكاه بر مصر داووني . غير ان احدا بالاولا حتى محمد ابو ابراهيم نفسه لم يسمعا . وظلت طوال سنوات العمر ، وهي تنن وتتوجع ولا من مجيب .

ها هي البلد الباردة اخرى . وقرب البلد ، عادت التابوهات . كل الليل والظلام والسكون يوحي له بمعنى الموت ، وكانت نفسه قد هدأت . وعندما قالت آه اول مرة سرخ خاطره ، ونظر فلم تطالع عيناها سوى الظلام . وقالت آه مرة اخرى ، فادرك معنى آه ، معنى ان يجد الانسان نفسه بازاء احساس لا يستطيع التعبير عنه سوى بالتأوه . آه يائي . خرج الصوت من الفم ، فوصله فورًا .

ان محمد ابو ابراهيم يشعر الان ان هذه الآه تخصه هو تتبع منه ، تخرج من فمه ، وعندما ارتفع صوتها احس ان طبقات الصوت تقوس في لحمة كفتطرات الدموع الدافئة . وبدلا من ان يحاول اسكتها او ان يقول لها ان البلد قريبة ، وان المنزل على بعد فرقة كمب ، بدلا من كل هذا وجد نفسه دون ان يدري يقول معها آه ، تنطلق من فمه بيحوجة ، تنتظر الما وحزنا ومراة ، قالها اول مرة ، فاحس بها تسقط فوق حبة القلب فترحه ، وفي المرة الثانية خرجت منه عالية فاحس بدوخة ورعشة .

وهذا معا . ومن حولها كان الليل يمشق صمت للجراح . سار محمد ابو ابراهيم في صمت . كان يسير ساهيا ، خلفه الحمار . ويده ممسكة بزوجته . وعيناها تخترقان الظلام امامه ، لقد كان يبكي .



بين القبلية والمذهبية



منسوب لابن الزيات وكان دعبل قد هجاه — « ان دعبلا قد تحت خشبته وجعلها على عنقه ، يدور بها يطلب من يصلبه بها منذ ثلاثين سنة وهو لا يبالي ما قال هؤلاء وما فعل له . » (٢) .

لكن امرا غير هذا وذاك بلغت نظري في اخبار دعبل وفي شعره ، ذكره القداء عرضا او تفصيلا . ذلك هو الموقف المشهور الذي اتخذه دعبل من الشاعر الشيعي المعروف الكهيت بن زيد الاسدي الذي لم يدرك دعبل عصره . فقد نظم الكهيت في عصره — لاسباب وظروف سائرهما بعد قليل — قصيدة يفخر فيها بنزار والمعدنانيين عامة ، ويعرض تعريضا ظاهرا بغيرها من القبائل وعاداتها . هذه القصيدة اشتهرت عند القدماء ولا تجددهم يرون فيها ما يسيء الى موقف الكهيت كشاعر شيعي . وفيما يلي اذكر شيئا منها ، ومعلمها :

لا افلنني بحاجة الى تعريف كبير بالشاعر دعبل ، فقد عرفه عصره شاعرا علوي الميل فاض شعره بمعاطفة جياشة نحو العلويين — من مضى منهم ومن كان — . ولا يهمني هنا ان شك البعض بصدق علوية دعبل او عدم اصلتها . فقد خلف لنا مرآتي ومذائع تكاد تقتصر على مذهب العلوي . ولا يهمني هنا ان شك ابو العلاء المعري — في رسالة الفران — في صدق نيّة دعبل واتهمه بالزندقة قائلا : « وما يلحقني شك في ان دعبل بن علي لم يكن له دين ، وكان يتظاهر بالتشيع وانما غرضه الكسب ، وكما اثبت نسبا بتنسب ، ولا ارتباب ان دعبلا كان على رأي الحكمي وطبقته ، والزندقة فيهم فاشية ، ومن ديارهم ناشية . » (١) . ولا يهمني ايضا ان يذهب رواة اخرون في وصف جراءة دعبل واعلانه مذهبيه متحديا سلطة الخلفاء العباسيين ، مذهب اخر حتى يقولوا — والقول هنا

الا حيت عنا يا مدينا

وهل بأس يقول مسلمينا (٣)
وفيهلا يفخر بنزار قائلا
لنا قهر السماء وكل نجم
تشبه اليه ايدي المهدينا
وجدت الله اذ سمى نزارا
واسكنهم بمكة قاطنينا
لنا جعل الكارم خالصات
وللناس التقا ولنا الجبنا
وما ضربت هجائن من نزار
فوالج من فصول الاعجبنا
وما حملوا الحمر على عناق
مظهرة فيلفوا ببغلينا
وما سموا بابهرة اغتباطا
بشمر خنونة مقزينا
وما وجدت نساء بني نزار
حلالا اسودين واحمرينا

ويأتي دعبل بعد نحو قرن من الزمن فينقض قصيدة الكهيت هذه ردا على مخاخره بالمعدنانيين ، مفتخرا باليمن وقبائلها ، قائلا :

افقي من ملائك ياظعينا
فكناك السوم مر الاربعينا
الم تحزنك احدات الليالي
يشين الذوايب والقرونا
احيي الفر من سروات قومي
لقد حيت عنا يا مدينا
فان يك آل اسرائيل منك
وكنتم بالاعاجم فاخرينا
فلاتنس الخنازير اللواتي
مسكن مع القرد الخاسينا
بايلة والخليج لهم رسوم
وأثار قدن وما حينا
وما طلب الكهيت طلاب وتر
ولكننا لنصرتنا هجينا
لقد علمت نزار ان قومي
الى نصر القبة فاخرينا(٤)

وهنا جملة امور تستدعي الوقوف عندها في موقف شاعر خراعة من شاعر بني اسد الحمزي :

اولها : ان الكهيت ودعبلا ينتهيان الى معتقد عام واحد ، هو التشيع . فلقد كان الكهيت علوي الميل والمعتقد ، وقد شعره على مذهبه واعتقاده في عصر كان الشيعة فيه مرتبة مضطهدة من قبل الخلافة القائمة اضهادا لا مواربة فيه . ولم يخف الكهيت صلته

برجال البيت العلوي بل لقد ذهبت الروايات الى انه لم يكن يقبل اية جائزة على مدائحه لهم . ولقد رفض رفضا باتا ان يأخذ اجرا على عقيدته . ومعنى هذا ان الكهيت ودعبلا كانا في اعتقادهما من مذهب متقارب جدا ، ان لم يكن مذهبيا واحدا ، فهنا يميلان الى العلويين ويؤمنان بحقهم السياسي وبتقديمهم لخلافة المسلمين ، وان اختلفا في التعبير عن هذا الايمان . وهما يشتركان في تلك الانداعات العاطفية الاصلية في رثاء آل البيت وذكر الماضي التي مروا بها على يد الخلفاء الامويين اولاً ، ثم العباسيين .

الامر الثاني : ان عصر دعبل هو غير عصر الكهيت . فاذا سلطنا للكهيت ان يتجه نحو المفاخر القبلية فذلك لان عصره كان لا يزال عصر المخاصمات القبلية التي وجهت الحياة السياسية نفسها . فالخصومة بين الهيمانية والقيسية ، وبين عرب الشمال وعرب الجنوب كانت تتدخل ت دخلا فاعليا في اضعاف موقف الخليفة الاموي او اسناده .

فموقف الكهيت في الاثارة القبلية كان كما سنرى يهدف الى غاية معينة . اما موقف دعبل في اثارة هذا الامر فيختلف تمام الاختلاف لان عصر دعبل وظروفه غير عصر الكهيت وظروفه . فقد اوشكت العصبية القبلية ان تنسى ولا يكاد اثرها يبين في الحياة السياسية وفي توجع كلمة الموازين الحزبية . فلم يا ترى يأتي شاعر خراعة ليبر هذه العصبية ثانية يحاول ان يعيد لها الحياة بمفاخر العدنانية والتحطانية ، وبالتعصب لليمانية دون مضر وقريش خاصة ، هذه المفاخر التي اوشك المجتمع العباسي الا يفهم قيمتها ، وهو الذي صهرته منذ سنه الاولى ، عصبية بن نمط جديد تنتمي اطراف منها الى الشموعية او الزندقة او الى المذاهب الفكرية والسياسية بمفهومها الحضاري الجديد . وهي عصبية وخصوصا لم يكن المجتمع الاموي قد شغل بها بعد . اذ كانت خصوماتها ما تزال بدائية بسيطة وغير معقدة ؟ تقسم على البيت والعشيرة والقبيلة .

لقد لفت موقف دعبل نظر معاصريه انفسهم ، فتعرضوا للتعدي فتيل عنه : « لم يزل دعبل عند الناس جليل القدر حتى رد على الكهيت بن زيد (الا حيت عنا يا مدينا) ، فكان ذلك بما وضعه (ه) ويقولون ان النبي (ص) نهاه — في مثابه — عن ذكر الكهيت بسوء . وقد نقض ابو سعد الخزومي قصيدة دعبل بقصيدة وصلنا شيء ضليل منها يدل على قلة قيمتها . ويقول الرواة ان شدة لسان دعبل اخافت الشعراء من التعرض له ودفعت بني مخزوم فنقوا ابا سعد عن نسبهم ، كي لا يعرض دعبل لهم . والمرجح عندي في عدم التفات الشعراء العباسيين لانتقضة دعبل على المستوى

أصابها ما تحب ...» (V) ويضئ المسعودي قائلا :
« غابدا الكيوت وقال قصيدته التي يذكر فيها
مناقب قومه من مضر بن نزار بن معد وربيعه بن نزار ،
وأيسد وأنهار أبني نزار ، ويكثر فيها من تفضيلهم ويطلب
في وصفهم وأنهم أفضل من قحطان ، فغضب بها بسين
اليمانية والنزارية ..

« ونرى قول الكيوت في النزارية واليمانية ،
وافخرت نزار على اليمين ، وافخرت اليمين على نزار ،
وأدلى كل غريق بها له من المناقب وتحزيت الناس
وشارت العصية في البدو والخضر ، فتج ذلك امر
مروان بن محمد الجعدي وتعمبه لقومه من نزار على
اليمين وانحراف اليمين عنه الى الدعوة العباسية ،
وتغلغل الامر الى انتقال الدولة عن بني امية الى بني
هاشم ما تلا ذلك من قصة معين من زائدة باليمن وقته
اهلهم تعبوا لقومه من ربيعة وغيرها من نزار ،
وقطعه الحلف الذي كان بين اليمين وربيعه في القسم ،
وفعل عقبة بن سالم بعبان والبحرين ، وقتله عبد
القيس وغريم بن ربيعة وسائر نزار ممن كان
بارض البحرين وعمان كبادا لمن ، وتعمبنا من عقبة بن
سالم لقومه من قحطان وغير ذلك ...» (A)

فالمحرض الاول للكيوت على قصيدته المعروفة هم
رجال من آل البيت ، أرادوا ان يسلموها حربا على
الخلافة الاموية التي كانت تقاسي اساسا من المعصيات
التي لا تحبها العبد لهذه الامة هدف سياسي ، هو
اقتلاع البيت الابوي وما يجر ذلك من اسقاط الخلافة.
ولقد نجحت هذه الخطة الى حد كبير — على ما يراه
المسعودي على الاقل — فيكون الكيوت بذلك قد ادى
خدمة للقوم الذين كان يؤمن بحقهم ، ومن يعلم الى اي
مدى كانت للهؤلاء يد في نجاح الدعوة العلوية السرية
التي انتهت بالتالي الى اقامة الخلافة العباسية .

ونعود الى دعبيل لتسائل : ما هو المكسب الذي
كان دعبيل يرمي اليه من اثرته العصبية القبلية ضد
شاعر شعبي ؟ ام ترى ان دعبلا كان شاعر خزاعة اولاً،
ثم شاعر العلويين ثانياً ؟
يبدو لي اننا لن نكون بعيدين جداً عن الصواب
لو حاولنا استكشاف الحقيقة من خزاعة نفسها ،
ثم من طبيعة موقف دعبيل منها ، لا سيما اذا علمنا ان
صلة دعبيل بخزاعة لم تكن صلة المولى ، بل هو ابنها
وشاعرهما .

لخزاعة شان غريب بين القبائل ، ولها تاريخ في
القديم يفتق مثالا بارزا على تلك الصراعات التي كانت
تقوم بين القبائل العربية في الجزيرة من اجل السلطة
والسيطرة ، لا سيما السيطرة الدينية التي كان مدارها
البيت الحرام ومولايه . ويبدو ان خزاعة قد جابهت

القبلي غير هذا الامر ، وقد كان بينهم شعراء كبار لم
يخشوا خصومة دعبيل او التعرض لهجائه مثل ابي
تمام والبحتري . فقد تبادل امثال هذين الشاعرين
الهجاء مع دعبيل ، لكنه لم يكن من النظم الذي كان
دعبيل يهدف الى احيايه بين الشعراء . انه العصر : اذ
لم يعد عصر دعبيل عصر النقائض التي تقوم على
الارتباطات القبلية والمفاهيم القبلية اذ سادته مفاهيم
حضرية لم يعد للنسب او القبيلة فيها المنزل الاول .
لكن ما يستدعي الاحكام على المعيدة التي كان دعبيل
يحملها (واعني تشيعه) لم تقف حائلا دون توازعه
القبيلة ، بل لعلها لم تستطع ان تقف امام تلك المواطن .
وكان المذهبية لم تكن غير طبقة شغافة تكشف عن معدن
مختلف تماما .

ما السر يا ترى في هذا الموقف ؟ وهل نبحت عن
الاجابة عليه في علاقة الشاعر بقبيلته ؟ وما هو امر
خزاعة ؟

قبل الحديث عن دعبيل وموقفه اراني بحاجة لان
اشرح موقف الكيوت نفسه ، والدوافع والطروف التي
جعلته ينظم قصيدته :

تقول الروايات ان الكيوت اتجه الى آل البيت
بشعره منذ فترة مبكرة من حياته . والطريف انه عرض
شعره هذا اول ما عرضه على الفرزدق ، وذلك بعد
نظمه قصيدته الهائمية المشهورة : (طربت وما شوقا
الى البيض اطرب) ، فيخاطبه الفرزدق قائلا :
« لله درك يا بني ، اصبت فاحسنت ، اذ عدلت
عن الزعائف والابواش ، اذن لا يصرد سهبك ولا يكتب
قولك ...» (٦) .

حينئذ قدم الكيوت المدينة فأتى ابا جعفر محمد بن
علي بن الحسين ابي علي فأتشده فلما بلغ قوله :

وقتل بالطرف غودر منهم

بين غوغاء امة وطفام
بكى ابو جعفر . ثم قال ، يا كيوت لو كان عندنا مال
لاعطيتناك ... ويذهب الكيوت مذاهب شتى في ذكر
آل البيت مادحا ومؤيدا ، ويتجه اليهم بشعره ، حتى
اذا اتشدهم شعره بهرمه بصدق نفسه واخلاص
نبرته ، فلم يدر هؤلاء كيف يجزونه . فيهديه عبدالله بن
الحسن بن علي شيعه له فلا يقبل الكيوت شيئا من
هذا . ثم يجمع له عبدالله بن معاوية بن عبدالله بن
جعفر بن ابي طالب مالا من رجال بني هاشم تعبيرا منهم
عن شكرهم له ، فيأبى ان يأخذ المال مظهرا اخلاصا
فريدا وميلا صادقا للخلاص من حكم بني امية .
وهنا يقول له عبدالله — كما يروي المسعودي :

« ان ابنت ان تقبل ، فان رايت ان تقول شيئا
تغضب به بين الناس ، لم فنتة تحدث فيخرج من بين

خزاعة ذلك وكثر كلامه فيه ، واجمعوا على محاربة قضي قریش ، وطردهم من مكة وما والاها . فبادر قضي باستصراخ زراح بن ربيعة واخيه حن بن ربيعة . وكان زراح سيد قضاة وقائدها فسار اليه متجدا له في الدهم منها ، ومعه اخوه حن . فقتل قضي خزاعة والفاها من كثانة ومن ولد الربيط ، وهو الغوث بن مر بن اد بن طابخة بن الياس بن مضر . فلما ظهر قضي على خزاعة اخرجها من الياس بن مضر . فدخلها قریشا وقسمها رباعا بينهم . وتولى امر البيت . وقد كان ابقى على خزاعة بعض الابناء للصهر بينه وبينها . فلما خرجوا عن مكة وقع فيهم البواء فمات بشر منهم . وسمي قضي مجعما لجمعه قریشا وقبائه بأمرهم .

ويقال ان قضي لم يحتج الى محاربة خزاعة لان زراحا لما ورد مكة ، اذعنتم لقضي وعابت حربه وخرجت عن مكة فدخلها . . « (١١) » .

وكان ما زاد الامر على خزاعة ان قریشا عظم سلطاتها بعد الاسلام وتوited سيطرتها على البيت . فلم تفسر لها خزاعة ذلك ، ولم تنس ما حل بها من خول نتيجة ذلك . اما قریش ، فلم يال روانها والمؤيدون لها الجهد في سبيل اذلال خزاعة ، بنسبة كل ما حرمه القرآن او محه الاسلام اليها . ومن الاحاديث البارزة في هذا الصدد ، الحديث التالي :

« . . . روي عن النبي (ص) انه قال ، اول من بحر البحر وسب السائبة وحى الحامي ، وغير دين ابراهيم عليه السلام ، عمرو بن لحي بن قحبة بن خندف . قال ابو العيثان : والمعروف ابو خزاعة . . « (١٢) » المعروف ان السلام عد هذه الامور من ممارسات الكفر والجاهلية اذ جاء في القرآن « ما جعه الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام . ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب والكلام لا يقتولهم » فكان الاسلام نفسه خص خزاعة بهذا التحريم !

ويستمر هذا الصراع بعد الاسلام وتتخذ خزاعة مواقف متفاوتة من الاحداث الاسلامية . فنرى الخزاعين بعد فترة قصيرة من ظهور الاسلام يعودون الى البحث عن نسبهم في الهباتية ويبحرون على قریش بانهم هم الذين نصروا النبي بعد الهجرة ، بعد ان خذلته عشيرته واهله (ذلك ان الانصار من الازد ، والازد يمانية) ، هذا بعد ان اتسع نطاق الصراع بين مضر وربيعة واصبح يشمل جميع قبائل المعنانيين والقحطانيين .

ومن الطريف ان نلاحظ ان خزاعة تنحاز بمساس بالغ نحو الدعوة الاسلامية ، حينما كان النبي والمسلمون في صراع ظاهر مع قریش . ففي سنة ثمان للهجرة — وهي السنة التي بدا الاستعداد فيها لفتح مكة — نجد خزاعة ، وهي متحالفة بمعهد مع النبي ، تشبك مع

ظروفا عصبية قبل الاسلام ، وقد اشتدت وطائها بعد الاسلام ، بسبب منافسة قریش لها . فالمصادر التاريخية تحكي تاريخ خزاعة وعلاقتها بالقبائل الشبالية وتكاد تنفق على الخطوط العامة لذلك التاريخ . وفي ما يلي الصورة العامة :

كان اول من نزل مكة وما حولها ، قبائل جرهم ، وكان ذلك قبل ظهور ابراهيم . وحينما اراد ابراهيم ان يبني البيت الحرام استعان بقبائل جرهم — فلما مات اخر سلالة ابراهيم غلبت جرهم على البيت ، فكانوا ولاته وقواه . ثم « تفرق ولد اسماعيل من العرب بنهامة واليوادي والنواحي الا من اقام حول مكة من ولد نزار تبركا بالبيت . . . » (٩)

« ولما خرج عمرو بن عامر وولده من مارب ، انخرع بنو ربيعة فمزقوا نهامة فسوا خزاعة لانخراعهم . ولما ثارت الحرب بين اباد ومضر ابني نزار وكانت على اباد قلعت الحجر الاسود ودفنته في بعض المواضع ، فرات ذلك امرأة من خزاعة ، فاخبرت قومها فاشترطوا على مضر انهم ان ردوا الحجر جعلوا لاية البيت فيهم . فونوا لهم بذلك ووليت خزاعة امر البيت ، وكان اول من وليه منهم عمرو بن لحي . . فغير دين ابراهيم وبدله وبعت العرب على عبادة القمائل . . « (١٠) »

هذه الحكاية تكاد تنفق عليها المصادر التاريخية الاسلامية ثم تفسر القصة على النحو التالي :

بقيت خزاعة على البيت — اعني ما يقول المسعودي — نحو ٣٤٥ سنة . ثم كان اخراشي خزاعة — فزوج ابنته من قضي بن كلاب بن مرة . فقتلتها وابنتها البيت ، بحكم المصاهرة ، الى زوجها قضي . ومعنى هذا انها انتقلت من خزاعة الى قریش . وهذا بيت القصد : خزاعة التي انخرعت من قبائل الجنوب واستقرت في نهامة تكاد تكون بنية بين القبائل . فهي تنفصل عن قبائل الجنوب ، لكنها لا تجد ما يعوضها في قبائل الشمال ، فتبقى في صراع دائم مع القبائل ، وخاصة مع قریش التي استلمت البيت من خزاعة سهوا ورهوا ولم تعدد اليها او تعوضها عنه . ومعنى هذا ان خزاعة خسرت سلطاتها لقریش في فترة قريبة جدا من ظهور الاسلام . وبقيت قریش محافظة عليه بعد الاسلام ، بل لقد زاد شأن قریش بعد الاسلام . وهنا لا بد ان نشير الى ان الرواة الاسلاميين قد وجدوا في هذا التاريخ الحائل ، وهذه العلاقات المتيرة بين خزاعة وقریش ، مرتسا خصيصا لخيالهم وعيهم ، خاصة في العصر العباسي ، حينما ثارت الخصومتين العرب والشعبية . وتضفي الروايات بمفصلة تاريخ هذا الصراع ، يقول البلاذري :

« ولما اخذ قضي مفاتيح الكعبة اليه ، انكرت

احلاف قريش من كثافة وتستغفر الرسول والمسلمين
لنصرتها ضد قريش (١٣).

وتظهر خزاعة في حرب صفين في صفوف العلويين
(سنة ٣٧ هـ) ، اذ تحارب مع علي بن ابي طالب .
وتظهر ميول بعض شعرائها نحو الدعوة العلوية ، خاصة
حينما اتجهت هذه الدعوة نحو السرية في نشاطها .
وبهذا المناسبة ، يرجع الرواة نسب كثير عزة ، الشاعر
الكيسانى الجبل الى بعض خزاعة (١٤).

خزاعة اثنى قبيلة ذات شأن قبل الاسلام وبعده .
ولا ينكر احد ان كثيرا من القبائل العربية دخلت في
صراعات قبلية كانت هي السبب الغالبة على الحياة
السياسية طيلة العصر الاموي . لكن الاساس الذي
تقوم عليه الخلافة العباسية - وهي اول خلافة في
الاسلام تقوم بعد مرحلة طويلة من الدعوة السرية ،
تستغل فيها العناصر غير العربية الى جانب العناصر
العربية - اتول ان الاساس الاول قد قلب الفكرة التي
تقوم عليها الخلافة الاموية راسا على عقب . فلم يعد
للصراع القبلي اثر كبير في الحياة العامة ، ولا في المعايير
التي يتعامل بها الشعراء . ولذلك قد يكون غريبا ان
يقوم شاعر مثل دعبل - وهو معروف بتشبعه بظاهرا
وباطنا - في عصر مثل هذا ، فيخذل من انتمى اليه
الى خزاعة سندا قويا يستند اليه في دعواته وفي
هجومه على الخلافة العباسية وعلى خصوصية ، بخلافا
ان يثير النفرات القبلية القديمة التي كانت يمارسها
في العصر الاموي ، يقول من نفس قصيدته التي ينقش
فيها قصيدة الكيث :

قتلنا بالفتى القسري منهم

وليدهم امير المؤمنين

ومروانا قتلنا عن يزيد

كذاك قضاؤنا بالمعتدين

وبابن السمط منا قد قتلنا

محمد بن هرون الامينا

قتلنا الحارث القسري قسرا

ابا ليلى وكان فتى اثينا

فمن يك قتله سوقا فانا

جعلنا مقتل الخلفاء دينا

ويخزهم وينصرهم عليهم

ويشف صدور قوم مؤمينا (١٥)

فالعصبية القبلية عند دعبل تأتي فوق جميع
الاعتبارات السياسية ، رغم اتجاه الحياة السياسية
في العصر العباسي اتجاهها مغايرا لما كانت عليه في
ظل الخلافة الاموية . ومما يسترعي النظر ان

خزاعة نفسها في هذا العصر الذي تصارعت فيه
الفرق والمذاهب والمعتقدات بشتى انماطها ، وخفت فيه
وطأة العصبية القبلية ، تبقى محتفظة بكيانها القبلي.
فتبرز في الفتن السياسية ، لا ككتلة سياسية او
مذهبية ذات هدف او اتجاه مذهبي مع الخلافة
او ضدها ، بل كقبيلة ذات عصبية . وتشهد ذلك في
الفتنة بين الامين والمؤمن . وباتينا موقف خزاعة
بلسان شاعرها . ولعل المؤرخين انفسهم لم يلتفتوا
الى هذا العنصر الجيد - واعني التعصب القبلي -
حينما عرضوا لاحداث الفتنة بين الخليفين واسبابها ،
فدعبل يرى ان تأييد طاهر بن الحسين للمؤمن وقتله
الامين كان بسبب ولائه (اي طاهر) واخلاصه
للموالين ، وهم خزاعة . (اي لا بسبب ولائه للخلافة
العباسية) . وكان خزاعة لا يفهم من الامر الا انها
تخلصت من خليفة من الخلفاء العباسيين واثبتت
جدارتها كقبيلة . ولذلك يظهر دعبل الامر وكأنه انتقام
لبعض موتاهم من العباسية - كما تقدم في الابيات
السابقة - بل يذهب دعبل الى تهديد المأمون ، بظاهرا
بخزاعة يستندا اليها فيقول :

ويسومني المأمون خطة عارف

اوما رأى بالامس رأس محمد

نوفى على روس الخلائق مثلهما

توفى الجبال على رؤوس القردة

ونحل في اكفاف كل منمع

حتى بذل شاهدقا لم يصعد

اني من القوم الذين سيفهم

قتلت اخاك وشرفوك بقمعد

ان الترات مسهد ظلالها

فأكفف مذاقك عن لعاب امسود (١٦)

وكان دعبلا كان يرمي بصره الى الوراء ، الى عهد
تقائض جبريل والفرزدق وتلك الاثرات القبلية ، ليعيد
الى خزاعة مجسدا لم تجد لها فرصة ليثبه على لسان
شاعر جريء مثل دعبل . ولكن لسوء حظ دعبيل فأت
الآوان ، لان عصر دعبيل لم يعد عصر تقائض ولم تعد
الاجابة القبلية ذات شأن فيه ، ولذلك لم يخلف
من هذا القبيل الا شيئا ناهيا ، كذلك المناقضات التي
هاجت بينه وبين ابي سعد الخزومي . ومع هذا حفل
شعره بالمنحول الذي يدور حول هذه العصبية القبلية .
ومن ذلك ان ينسب اليه انه تبرا من خزاعة وهجاها
هجا ممتدحا (١٧) وكان هذا من باب انتقام الرواة لميولهم
القبلية التي يحبها شعره ثانية . ومن امثلة هذا ، الرواية
التالية التي يذكرها الاصفهاني يقول : « ... حدثنا
الحسين بن علي قال ، قلت لابن الكلبي ، ان دعبلا

كلاب انت ؟ فقال من بني أبي بكر . فقال له دعسل
اتصرف القائل :

وبنيت كلبا من كلاب يسيني
ومحض كلاب يقطع الصلوات
فان انا لم اعلم كلابا بانها
كلاب واني باسل التقات
فكان اذن من قيس عيلان والدي
وكانت اذن امي من الحبطات

وهذا الشعر يقوله دعبيل في عمرو بن عاصم الكلابي .
فقال له الاعرابي ، ممن انت ؟ فكره ان يقول من خراعة
فيهجوه ، فقال انا انتي الى القوم الذين يقول غيهم
الشاعر :

اناس علي الخير منهم وجعفر
وحزمة والسجاد ذو التفات
اذا فخرنا يوما اتوا بهحمد

وجبريل والقرقان والسورات
فوثب الاعرابي وهو يقول ، ما الى محيد وجبريل
والقرقان والسورات مرتقى . « (١٩) » .

قد قطعنا ، فلو اخبرت الناس انه ليس من خراعة ،
فقال لي ، يا غافل ، مثل دعبيل تنفيه خراعة ؟ والله
لو كان من غيرها لرغبت فيه حتى تدعيه . دعبيل ،
والله يا اخي ، خراعة كلها . « (١٨) » ودعبيل هو حقا
خراعة كلها ، في عصره .

ومن الطريف ان دعبيل ربما تستر بهذه حرمسا
وخوفا على قبيلته . وهذا - في رأيي - منتهى الغفائي
في سبيل قومه وقبيلته لا مذهبه . فهو يمارس (التقية) ،
وهي مبدأ تحله فرق الشيعة . لكن الطريف ان التقية
هنا لحماية القبيلة لا لحماية مذهبه او الشيعة التي
ينتمي اليها . فهو ينتمي الى الشيعة علنا ، في اخبار
عنه ، ومتقرا على نسبة في خراعة خوفا عليها من
هجاء الشعراء . ولنتأمل الرواية التالية وفيها ما
فيها من دلالات على المفاهيم التي يحملها دعبيل :

« قال اسحاق بن محمد النخعي ، كنت جالسا
مع دعبيل بالبحرمة وعلى رأسه غلاية ثقيف ، اذ بر
به اعرابي يرغل في ثياب خز ، فقال لغلايه ، ادع لي
هذا الاعرابي . فاعاد الغلام اليه فجاء . فقال له دعبيل ،
ممن الرجل ؟ فقال من بني كلاب ، قال ، من اي ولد

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhr.it.com>

هوامش :

- (١) رسالة الغفران (ط . دار صادر) ص ٢٨٦ - ٨٧ .
- (٢) ابن المعتز ، طبقات الشعراء (تحقيق عبد السميع فراج -
دار المعارف) ص ٢٦٤ - ٦٥ .
- (٣) انظر الابيات في : شعر الكعب بن زيد الاسدي ، جمع وتقديم
الدكتور داود سلوم (بغداد : ١٩٦٩) ج ٢ ص ١١٤ رقم ٦٤٣ .
وقد ورد المعجز في مصادر اخرى (وهل تاس يقول بسليتنا) :
انظر المسعودي : مروج الذهب (ط دار الاندلس - بيروت)
ج ٢ ص ٢٢٠ .
- (٤) المسعودي ، مروج الذهب ، ج ٣ ص ٢٢٠ .
- (٥) الاصفهاني ، الاغاثي (١٩٥٥) ج ١٨ ص ٧٠ .
- (٦) المسعودي ، مروج ج ٢ ص ٢٢٨ .
- (٧) المصدر نفسه ، ٢٢٩ .
- (٨) المصدر نفسه ص ٢٢٠ .
- (٩) البلاذري ، انساب الاشراف (دار المعارف) ج ١ ص ٧ - ٨ .
- (١٠) المسعودي ، مروج ج ٢ ص ٢٩ .
- (١١) انساب الاشراف ، ج ١ ص ٤٩ - ٥٠ .
- (١٢) المصدر نفسه ص ٢٤ .
- (١٣) البلاذري ، انساب ، ج ١ ص ٣٥٢ .
- (١٤) المصدر نفسه ج ١ ص ٣٨ .
- (١٥) شعر دعبيل بن علي الخزاعي ، تحقيق د. عبدالكريم الانست ،
(ط . مجمع دمشق ١٩٦٤) ص ١٩٢ - ١٩٧ .
- (١٦) ابن قتيبة ، الشعر والشعراء (ط . احمد محيد ساكن) ص ٨٤٩ .
- (١٧) ذكر ابن الجراح بنين لدعبيل بهجو فيها خراعة بانذاع ، قال
المحقق انها منسوبان اليه ، الورقة (تحقيق عبدالوهاب عزام
وعبدالمنار فراج - دار المعارف) ص ٢٣ . راجع ايضا ابن
منظور ، مختار الاغانى ، ط مصر ، ج ٣ ص ٥٢٨ .
- (١٨) الاصفهاني ، الاغانى (ط بيروت ١٩٥٥) ج ١٨ ص ١١١ .
- (١٩) ابن منظور ، مختار الاغانى ، ج ٣ ص ٥٢٩ - ٥٣٠ .

المرأة في الكويت



٢ بين وسائد الحصر والمقعد الوثير

نقله الى العربية
عصام عسيران

فصل من كتاب بالفرنسية
للكاتبة السويسرية
لورنس ديونا



الارض الفاحشة !

أحدها عن قالت لي :

— « في البداية ، كان على دارسة الصحافة عندنا ان تكفي بتعليم اللغة العربية ، قبل ان تغادر بتدريب تلميذاتها على مهنة قلما تعتبر نسائية ! .. »
وفيها بعد ، حدث أخريات حذوها ، فكان لدى العديد من الفتيات الكويتيات شهادات الليسانس في الصحافة اثر عودتهن الى بلدن من دراستهن في جامعة

.. واخيرا ، في عام ١٩٥٩ ، المحدث الجديد

الفتيات بوظيفة سكرتيرة في ادارة مؤسسة بتروولية في البلاد ، رغم اعتبار عائلتها ذلك غضيحة واية غضيحة! ولم تنقش سنتان او ثلاث ـ اي في عام ١٩٦١ ـ حتى تسلبت خمس كويتيات ـ مجازات من جامعات اوروبية مختلفة : في التاريخ والفلسفة وعلم الاجتماع والصحافة ـ مقاليد وظائف في حفل التدريس .. كاول طليعة للاستاذة الجامعيين العابلين في زاوية من هذه

ايضاح

الترجمة الحرفية لعنوان هذا الفصل كما ورد في نصه الفرنسي ، ضمن كتاب السيدة السويسرية لورنس ديونا عن : « نساء الكفاح والازمات والرمال » في الشرق الاوسط » .. هي : « الكويت بين المقعد الجلدي المشو المستدير القصر ، وكبة كنول الفضة الوترية — KOWEIT : Entre le Pouf et le Fauteuil « KNOLL » —

وقد اثرت على هذا النص العربي العبارة التالية ، التي رايتها اقرب لرامي الكتابة من حديثها عن بعض اوضاع المرأة الكويتية ، لا عن دولة الكويت بالذات :

« المرأة في الكويت : بين وسائد الحصر ، والمقعد الوثير » .. للتدليل على نقب المرأة هنا وجبرتها بين القديم والجديد .

اما الكتاب كله ، فقد اتم نقل باقي فصوله الى العربية قريبا ، تهيدا لطبعه واصداره في مؤلف مستقل ، بإذن الله .

(عصام)

السيدة رئيسة الجمعية النسائية الثقافية الاجتماعية ، كانت بين تلك الاتيقات اللاتي كن « يدرشن » حول اطلاق اللحوم المرطبة بالكولا .

و « لولوه القطامي » - و « لولوه » اسم ذو جرس جميل جذاب) - هي « بلا شك » ارفع الرئيسات اللاتي قابلتن اناقسة . وقد زينت جديدها و (نابورها) الاسود - الذي يكسبها مزيدا من التحافة - بحلية وحيدة ؛ هي عبارة عن عقد من اللآلي الوردية اللون .

ولولوه العذبة ذات انثوية بيضاء ، ولطف جم ، وذكاء لحاح . وهي ، في دفاعها عن المرأة وحقوقها المهضومة ، غالبا ما تستخدم السلاح الامضى هنا : سور القرآن ! كما تنظم ندوات عامة ومختلطة ..

قالت :
- ما زلت اذكر مخاوفي قبيل اجتماعنا الاول وتساؤلي : كيف سيكون مسلك الجيل القديم ؟ . كيف سيجلس رجل الى جانب امرأة مجهولة منه ؟ . وكيف سيتسلق امرأة قرب رجل مجهول منها ؟ . ذلك ان كثيرا من اهالي طالباني لم يكونوا قد تواجدوا في موقف السيدتين مع تقاليدهم من هذا الموقف . . . اما اليوم ، فقد باتت اشد التقاليد تزمنا . واشد التقاليدات حاششا على براغمين ، يجلسون جنبا الى جنب بشكل طبيعي . . .

وابرزت لولوه لي بعض الصور الفوتوغرافية . بدت فيها قاعة فسحة للفحلات بشيدة وفق احدث طراز ، استعمل فيها خشب النك واضواء النيون ، وظهرت بقع سوداء بين مجموعات من رجال يرتدون الثياب البيضاء . ثرى ، بم تفكر هذه النساء وراء براغمين ؟

وتابعت لولوه كلامها قائلة :

- « اجناتا اخذتليذاتي لحضور جلسات البرلمان . وفي احدى المرات ، كان النواب يناقشون مسألة حق المرأة في الانتخابات النيابية لحظة دخولنا القاعة بالضبط . وسرعان ما توقف النقاش وخيم الصمت الى درجة ان يمكن معنا سماع صوت سقوط ذرة الرمل . . . »

وفي مجلس الامة ، يقدر لذرات الرمل هذه ان تتحول الى حبيبات من تلج ، ما دام الهواء الكيف فيه باردا . . . وتكسو جنبات المجلس سناثر ثقيلة . كما ان به سجدا سميكا يمتص وقع وطء اقدام . . . ههنا بعد خمسون رجلا بنياض ناعمة البياض . .

القاهرة . واحدة منهم - غنية المزوق ، شابة ، وام لطيفين - تمتلك مؤسسة للنشر . وهي تحسن ادارة عالمها الصغير . . احدى مجلتيها : (اسرتي) - ما غلبى - طبع اكثر من عشرة الاف نسخة ، وتقرأ في العربية السعودية ، والخليج العربي وجنوب العراق ، كما في الكويت نفسها . والفرق واضح بين مكائبا التنظيمية المرتبة ، ومكائبا انقسام الصحافة الحكومية . . حيث تنتثر اوراق المهملات بالامبالاة الموهودة لدى الرجال !

واذا لم تكن تعرف الروائية والشاعرة التي تسبقها شهرتها ، فيمكن التعرف على مؤرخة من سلالة كويتية اصيلة ، هي : هداية سلطان السالم . وقد شرعت بالفعل في تدبيح عدة كتب عن تاريخ الشعوب العربية . وفي الكويت ، لحق تطور المرأة بالتطور القائم في البلاد ، حيث سابقت سرعة انطلاقتها سرعة اقامة تلك الانبيئة والطرق المتبعة كل يوم من قلب الصحراء ، ولكن انتصاراتها هذه ما زالت هشّة كذلك السراب المنطلق من سحر النفط . اذا ، على الرغم من ان ثمة فتيتا كن قد حرقن يوما حجابهن في ساحة المدرسة . وان اخريات قد تخلصن من « عباينهن » السوداء . بعد ان خططن فوقها شعارات بمعدية لاسرائيل . ينبغي امر التغلب على عقبات اقل وضوحا . الا وهي تلك التي لا يمكن ازالتها في بضعة سنوات . ولو بذل فيها كل دائري العالم . وهي الفاشنة بين الاكابر الخليل المحيط بمسالم قديم . .

فلا تغرنك تلك القوافل من سيارات الكاديلاك او قوافل كبار الخياطين ؛ ولا تلك المناسبات الرسمية التي تجل وجه سيدات « الطبقة الراقية » صاحبة ؛ ولا غزوات الترانزستور الياباني ؛ اما الساعات السويسرية ههنا - فانها تعطي قياسا عشر الثانية . في بلد ما زال حساب الزمن فيه ليس بذى بال . . . ! فلك ان حصة الفرات والتقاليد لم يثنوا قيد انملة عن مقاومتهم لكل جديد طاريء . واذا كانت الاسرة الحاكمة تبدو متحررة ، فعلى العكس من ذلك يقف النواب الشديدي المحافظة حجر عثرة امام التحرر النسوي . فالنساء لا يحضرن دالما الاستقبالات الرسمية . وفي الكويت - ورغم ارادة الاجيال الشابة النائرة - جامعستان ينقسمان : الاولى للفناتين ، والثانية للفناتين . وهذا التقسيم ، الذي رغب بعض النواب في سنف قانونا دائما ، (ومن حسن الحظ ان الامر بمداخله السالم ، التواني قبل سنوات قليلة ، كان قد عارضه) ، يكلف البلاد مصاريف باهظة ، ويؤدي الى مواقف عجيبة غريبة : كان تتلقى العلم طالبة وحيدة في قسم العلوم ، فترى امامها استعراضا متقلبا لرل من اساندة لا يتجشمون الجهد ، كل الجهد ، الا في سبيل حضرتها وحدها !

« المايي » العربية . اثرائي قد قطعت كل تلك المسافات حتى الخليج العربي لاصفي الى اغاثي آدابو ؟! ..
الا ان الصديقة لولوه بددت سلمي .. حينها عاودت حديثها :

— « لقد طفت كل انحاء الدنيا تقريبا .. ولكم التقيت فيها بالنساء ! .. ومن كل جنس ومن كل لون ! .. »
لقد وجدت ان على كل واحدة منهم ان تواجه دائيها قضايا نخل كاللغاز وتنشابه في جوهرها رغم اختلاف اشكالها حسب البلاد . والذي يعني هنا انها هو تلك المشكلات التي يطرحها موقف المرأة الصعب في العالم ، دون الاشارة الى الحلول التي يتوجب على السياسة تقديمها لها . والفلسطينيات بالذات يعرفن هذه الفوارق جيدا ، اتودين اللقاء باحداهن ؟ . كثيرات منهن يعملن عندهن .. وقبل فترة من الزمن ، نظمت حفلة لصالح اللاجئين الفلسطينيين ، غنت بها ام كلثوم العليمة . وقد استطعن ان تجمع مبلغا اسطوريا من حصيلته الحفلة . ذلك ان ام كلثوم هي اكثر من مغنية .. انها رمز : رمز القومية العربية ! .. كذلك وضعنا في الاكنة العامة صناديق كبيرة لجمع التبرعات ، وكما كانت المفاجأة كبيرة حينها ففتحناها : اذ كانت تحتوي ، الى جانب المال ، على مجوهرات تتراوح قيمها بين الباهظة الثمن والمتواضعة . والبعض تبرع حتى بخاتم زواجه ! .. »

وعلى الفور ، مرت في مخيلتي صورة (ندى) تحت حبيبها المبهلة : سوف اتحدث عنها لولوه .. وسأحدثها عن بلبلوريا ، والعراق ، وعن كل تلك النساء اللاتي يتشابهن اشد التشابه ، ويختلفن رغم ذلك اشد الاختلاف ..

.. ولقد تحدثنا طويلا ، ثم هرعنا عائداً الى المدينة في حرقا . ولم يكن يلعب في الافق سوى الاشواء الساحرة المنبعثة من الطرق التي تشق الارض الشاسعة البعيدة .. حيث يجري البناء في كل مكان . فيا كويت .. يا تمهالا عملاقا بارجل من ذهب اسود .. ياها الطود الشامخ الذي لن يتوقف ابدا عن ان ينمو ويزداد ارتفاعا ، مكن حرية تنالكم من الانتشار في ظلك !

(٤) الزهور الخفية في الصحراء

يرافقني سائق ، طويل القامة كبذنة ، عريض المنكبين كمصارع ، اجش الصوت كمطحنة . وهو يقوم بحراسني عن كثب ، ويسير على بعد ثلاث خطوات خلفي لغته الفرنسية معدومة .. وانجليزيتة غير موجودة اصلا !

بعضهم يحرك باليد حبات « المسباح » .. وآخرون يهزون أرجلهم المرتدية نعالا قد يسقط ارضا فتلتقطه اطراف اصابع اقدامهم من جديد . وفوق منصة الرئاسة ثمة رمز يمثل مركبا شرعيا يبحر عباب امواج عاتية متهايلة : انه شعار البلاد .

وخرمت لولوه على ان تصحبني الى (نادي الغزال) ، الذي يعتبر مع (نادي الكويت البحري) افضل مكان للترفيه . ولم أجروا على الانشاء اليها — وهي الفخورة جدا بالتحديث الذي غير معالم بلدنا — بانني كنت افضل ان ارى بالاحرى غزلانا حقيقية . او سيذا صحراويا بصغر يقبع فوق قبضة اليد ! .. ومثل هذا الصيد ما زال يجري . ولكن مع اقترام السيارة بشؤونه .. رغم ان السيارة تعد دخيلة ومستهجنة في هذه الاجواء .. اذ في الجبال المحض النابت من الصحراء — حيث الحياة القليلة المطالب تكفي باللاشيء وتبتم من جديد — يجب ان تتجسد الحركة في الحضان العربي والجل والانسان ذاته .. لا في « الكاديلاك » .. النابية في هذا المسار ..

في تلك النوادي اوحاش للسباحة ، وامكنة للالعاب ، ومطعم ، وحلبة للرقص . ومن المثير ان ترقص الكويتية الى جو عالمي . الا ان بعض الشباب « المتقدم » بدا في حياته الخاصة بمعد اجتماعات (بارني)، يمارس الرقص فيها بين الاستقاء . ولكن ، هل يعمل ذلك بتعمق ؟! .. والقصص العربية القديمة تفسح بحكايات الحب التي ينتصر فيها مكر النساء .. واليوم ، قد تمضي العاشقة الى « الكوافير » او « صالون الماكياج » للانسان ، وللاقتساء من تمشق ، او تطلب من سائقها ان يقودها خفية الى مكان اللقاء .. بينما تكون الفتيات ، التي يقرضن ان تقضي معهن السهرة — (والفتيات غالبا ما ينظمن معاً نزاهات خلوية في الصحراء) — يغنين بمصاحبة العود ، ويرقصن على ايقاع الطنبورة والدفنيسك ! .. والحب ، انها يكر ويبتلع حينها يتربا سزيد من الغفوس والخفاء ، ويكون مضطرا لمواجهة عتبات عديدة . وفي هذه الظروف يكون البرقع مفيدا جدا .. تماما كتنافع الذئب المخلي المستعمل قديما عندنا ، وخير رفيق وقت الضيق عند كل خروج بالسر والنقطة !

اسر لي احد الكويتيين بقوله : « انني احمل معي دائما برقعاً في سيارتي لكوني مستعدا عند حصول المغامرة التي قد « تط » في اية لحظة ! .. » .

ولا يفرك ذلك بان تشبهه بما كان يحدث في مدينة البندقية اثناء اعيادها الزاهية .. اذ لا مندوحة من الشك بروايات كذبة .

وسئمت في جلوسي امام قدح الليبوانسة ، في هذه

فاجاب :- بكل سرور .

الا ان جورج السكين لم يستطع قط الاستراحة في المتعد الخلفي ! اذ ما كاد يحاول الدخول الى السيارة حتى وجد نفسه ممسوكا من الياقة ومنقولوا الى الرصيف - رغم احتجاجه - بواسطة سائقي الغنيب ! وطوال اقامتي في الكويت ، لم يسمح هذا السائق ابدا لاي رجل ان يجلس بالقرب مني .. وبالتالي ، فقد كان علي ان اتجول في المدينة وحيدة بصحبته .

.. وبهت ربح دوارة . وسرنا في اماكن لا معالم مميزة لها ولا أضواء . وغمرت امواج الغبار الاصفر حواسي الثمينة : مفخرة كل كويتي ، المنائرة التي بقع خضراء يستقيها بستانيون لا يبدو عليهم اطلاقا ما يبطئ همتهم !

.. انها عاصفة الرمل .. التي لا تحني ، حتى الارض ، الاشجار القليلة في المدينة ، وحسب ، بل كذلك ظهور المارة المتأخرين في العودة . وقد تحتم علينا ان نعيش ، طوال عشر دقائق كاملة ، تحت ستار ارضي كثيف ، لا سماء له ولا افئاق ، لا تميز فيه معالم البيوت .. التي كنا نبحت بينها عن بيت يقوم ههنا على طرف الصحراء : وقد تهرغنا اليه اخيرا بصعوبة . واقبل اللبنا طيف ، وقال :

— « اخيرا ، وصلمت الى ضالتكم ..! مؤثرة هي عاصفة الرمل هذه ، اليس كذلك ؟. ان منظرها ليس حزيني دائما ، انا الذي اعيش ههنا منذ خمس سنوات ..! »

كان محنتنا هذا طبييا ، تقدم من القاهرة بنية البقاء في الكويت سنتين على الاكثر .. ولكنه مسدد الاقامة وتابع العيش في هذه المنطقة من العالم . قال : — « انني احب هؤلاء الصبية ولا اطيع فراقهم . وحينما يشدون عنقي اليهم بازرعهم الصغيرة ، يبدو لي حينئذ ان ليس ثمة شيء يستطيع ابعادي عنهم .. » كنا اذن في الميتم ، ببنايه الكبير الربع الشكل وحوشه الداخلي ، الذي يؤدي حوالي المائتين من الاولاد .. وتتقدم مني بنت صغيرة عمرها خمس سنوات بوجهها اللبني الشكل ، وعينها الواسعتين ، وبشرة تكاد ان تكون خالصة الاسود ، وتدس يدها بيدي انها تود منحني حبة حلوى .

ههنا : مطعم ، غرف صغيرة ، دقائق اطفال . اجواء دائمة وحيوية . الصبية يتعلقون بيدي .. والاصغر بينهم بسباتيك . انهم يتطلعون لي بوجه ذي عيون قاتنة ، ونظرات حزينة ، ومرحة في نفس الوقت . بينهم الكثير من الاهتمام وبعض اللقطاء .. الذين لا يعرفون لهم ابا ولا اما .. ويتابع الطبيب حديثه :

اما كيف نغاهم ، فالبركة في التكريرات والابتسامات والاشارات .. ولكن ليس دائما : فذات صباح ، اشترت اماه الى قديمي - وكنت اود ان اشترى خذاء لي - واذا به يقود سيارته بي الى احد المساجد ! فلقد فسر اشارتي على انني اطلب اليه ان يقودني الى هذا المكان المظهور ، حيث تطلع النعال قبل الدخول والشروع بتأدية اية شعيرة من شعائر العبادة ! .. ولحسن الحظ ، لم يكن المسجد بعيدا عن السوق ، حيث تتكدس تلال من الصنادل ! (الصندل ، ههنا : الحذاء المفتوح الخفيف الذي يلبس عادة في الصيف) .. وقد اتبعت زوجا منها مضميت من حجم قديمي : الا انه لا اهمية للامر .. فان احدا لن يلحظ ذلك . اذ ان الجميع ما كانوا يخلقون الا بشرتي الصافية وعيني الزرقاوين . ومن وراء برامقهم ، كانت البائعات المظففات باثوابهن القاتية يظلمن الي ، وهن يتسمن قيعان جبال من القماش الوردي والخضراء والزرقاء ، واهرامات من مساحيق الجلتار والزعفران . اتراهن يبتسمن لي ؟ ام هو توهم مني ؟ .. يقال ان العيون هي مرآة الروح .. ولكن ، يبدو لي شخصا انها لا تعبر عن شيء على الاطلاق ، ان لم يساعدنا كامل الوجه في تجسيد صورة شعور معين .

والسوق - رغم بضائعه البلاستيكية الرخيصة - لم يزل اثرنا باقيا من حياة الماضي ، حيث كانت الريح تدفع الى الكويت السفن الشراعية المجهزة بالانابه والحريز . وكان البدو يقصدونه لبيع متوججاتهم ، والتزود بها يحتاجون اليه . وماذا نقول عن الحريز ، ان هذا الركن من العالم ما زال الان ايضا احدر اديسهم ، على الرغم من ان سادة تهريهم لم تعد هي ذاتها كما كانت في السابق ، وان الكحول قد حلت محل الذهب في هذا المجال !

ثمة يد تلمس كتفي .. فاستدير ، لاجد امامي (جورج) الصديق الفلسطيني . انه يشتري لزوجته ذلك الرداء الطويل ذا الدانتيل الاسود ، الشفاف والمطرز بالخيوط المذهبة . والمسى به « ثوب » .. والفساء يلبسه عادة فوق « الدراعة » : الرداء الحريزي ذي اللون الصارخ والاكمام الطويلة ، وبعضهن ، في حياتهن الخاصة ، يتعطرن ويرتدين « ثوبين » - المسخ هو ايضا بالخور - ملاصقا للجسد مباشرة ، ليكن يستعدنا هكذا لان يحين احدى ليالي الف ليلة وليلة .. التي تروي الحكايات احداثها ..

قلت لجورج ، بعد الانتهاء من تغليف اثواب الحلم : — هل انت لك الى مكان ما ؟. السيارة قريبة منا ، ههنا امام المسجد ..

— فليتصبر الغلام يومين آخرين ! اذ سأعود اليه ...

وير الرجل الهرم بوعده ، حينها حضر الينا بعد يومين بالضبط ، ودخل الخيمة التي كنت مستلقيا فيها ، ثم أخرج من جرابه حزمة حشائش ضمها بالوخل ، واحكم الصاقها على الساق المريضة . وما لبثت حرارتي ان انخفضت بعد انقضاء بضع ساعات على ذلك . وحينذاك قال لي :

— ساتركك حالما تتمكن من السير على قدميك . ومن ثم ، عليك ان تتوجه نحو البحر . وهناك ، سوف تجد صخرة كبيرة تتجمع حولها آلاف الاسماك الصغيرة — وجعل الشيخ يرسم فوق الرمال استدارة الشاطئ ويمين موضع الصخرة بالضبط — وهنا غطس سائق في الماء ، ودع السمك يسبح اليها وينشأ لحبها الذواي . انا اعلم بأنه علاج مؤلم بلا شك ، الا انك سوف تخرج منه معافى !

وتابع احمد كلامه ، بينما كان يدير أزرار راديو سيارته ، وقال :

— .. وهكذا اتبعت نصائح البدوي المسن . وبقى فوق مباتي اثر ضئيل للجرح ، يذكرني دائما باني لم اكن احلم ...

« البقية في العدد القادم »

— « نادرات هن الامهات اللاتي يفضن الينا بقصتهن ! .. انهن يلدن ثم يرجلن ! .. وبعضهن يأتين الينا محجبات ، متخفيات وراء « البرقع » .. ولكن هل هن لذلك جميعا بدويات ؟! .. »
.. ونحن فوق اسرة المولودين حديثا : واغلب هؤلاء انما جاؤوا الى الدنيا نتيجة حمل سعت صاحبه الى اخفائه بأي ثمن .. انهم يحيلون ، اشبه بالاجنة التي لم تكتبل في الارحام ..

(هـ) البيت فيما قبل الذهب الاسود

— « بين القبائل الضاربة خيامها في عرض الصحراء .. البعيدة عن مؤثرات الحضارة .. تتنوع النساء بحرية فائقة في حياتهن ... »

.. هكذا قال لي الصديق احمد ، المولود هو نفسه تحت خيمة من مضارب الصحراء .

واحمد — الذي يمتطي الان سهوة الكاديلاك ، ويحط رحاله ، عندما يسافر ، في اكبر الفنادق — ما زال ينطوي على الحنين الى ذلك النمط البسيط من العيش حيث : « .. حينما يرغب الرجل باحدى النساء ، يقس تحت الرمل القريب منها عصا تلامسها برقق : فيأبى منها الرد : في رفة رمش ، او هزة رأس ، لو نظرة لا مبالية ... »

ويحل المساء . بينما يستمر مكيف الهواء في عينيه . ويدخل عبر نوافذ السيارة هواء طبيعي لا يملك الا ان يلهي غلتزك مدينة الكويت : تلك الورشة الضخمة ، وفي خارجها تتحول الطرق الى خطوط رملية تتصل بالبحر . ويتابع احمد حديثه ، بينما يخلط بياض «دشداشته» بانعكاسات السماء المائلة بالنجوم :

— « في مقتبل عمري وصباي ، كنت ورفاقي ، نتطلق في سباق الريح على سهوات الجباد ! .. ولكم افكر اليوم هذه الشطحات عبر الصحراء ! .. ذات يوم ، رملي راخلي ارضا ، ونج عن سقوطي هذا فوق احد الصخور حصول شرخ في سائي لم يلبث ان تلوث . فاصاب الساق بالقرح . وجن جنون ابي ، وارسل في طلب طبيبين اوروبيين من اقاصي الخليج . وجاءا ليشرفا على العلاج ، باذليل اقصى الجهد : فوصفا لي احسن الادوية ، وكادا يغطيانني بالضمادات .. ولكن ، دونما جدوى ! اذ كان القرخ لا يني يمضي قدما .. غير آبه بأي دواء ! .. ولا شك ان ابي الذي ظل يرفض اللجوء الى بتر الساق ، كان مدفوعا بحس داخلي لم انبئ به نهائيا . فلقد ظهر بيينا فجأة بدوي مسن ، لوحث الصحراء بشرته ، وافعمت نفسه بالحكمة والمعرفة ، وقال : امرا بحزم :

سيرة تريب

كتاب

الحركة الأدبية والفكرية

في الكويت

للدكتور محمد حسن عبد الله

منتهى الرضا ٣

قيمة التأمل

بمعلم / عبد العزيز حبادو

ما زلت اشرب ولا اروي فلها عرفت
الله رويت من غير شرب .
« ارسطو »

ابن آدم افكرني بعد الفجر ، وبعد
العصر ساعة .. اكفك ما بينهما .
« حديث قديس »

في وسعي ان افهم رجلا يصوب نظره
الى الارض ثم يكون ملحدا .. بيد انني
لا استطيع ان انصور كيف يرفع نظره الى
السماء ثم ينكر وجود الله !!
« لنكولن »

خلال لحظة صمت : اما ان نسمع
خفيف شجر ، او زقزقة عصافير ، او صوت
الضمير .
« »

واعتقد ان هذا لا يحتم علينا ان نغمس في هذه
الحال ونعكف عليها اكثر من مرتين في اليوم ، مرة في
الصباح واخرى في المساء .

وفي هذه اللحظات الهادئة يتعين علينا ان نتصور
بفكرك ، او بوساطة الكلية المنطوقة ، التغيرات التي
تربغ في احوالنا . او تتخيل الوصف التصويري
للشخص الذي ترغب في ان تكونه . ولكي تتم هذه
الاجاءات على خير وجه يستحسن ان ترقد في وضع
مريح ، هاديء ، وتستمع الى ذلك « الصوت الداخلي »
.. صوت الحكمة . ويأتي هذا في الغالب مما يسميه
البعض « البديهة » او المشاهدة العقلية . فاذا اتى هذا

اننا — حسب الدراسات النفسية اليوم — وارثون
شرعيون لكل شيء .. لكل ما يمكن ان يكون ضروريا لنا
.. ويقتضي الامر تبعا لذلك ان نحصل بكل حرية على
كل ما نحتاج الى استعماله .. نأخذه على انه امر عادي
وطبيعي . ولم يك الا نحن انفسنا الذين في حاجة الى
من يدفعنا ويستفزنا الى ذلك .

وعلى ذلك فمن المعتقد ان اكثر الخير انما يأتي من
خلوتنا والافتراء بانفسنا في هدوء ساعة او بعض
ساعة من حين الى اخر . نوجه فيها الذهن لمعرفة
بواطن النفس ومكوناتها .. ومعرفة خفايا الاشياء التي
تحيط بنا . فهذا التأمل يكسبنا معرفة واضحة من حيث
طبيعة هذه الاشياء وعملها وتأثيرها .

كلها احتجت الى ذلك . ولذا فمن اليسر على العقل اللاشعوري ان يجمع لك وثائق معينة ، وشواهد خاصة ، في صورة تجربة ماضية ، ويبدك بها بطريقة معينة .

وشمة خدمة جليلة يمكن ان يؤديها لك عقلك اللاشعوري ، هي : مادة الممارسة والفهم . وهذه يمكن بدورها ان تكون المستشار الامين ، والناصح الهادي الحكيم .

وبانتفاع هذه الخطة على الوجه الاكمل ستحصل دائما على نتائج طيبة ، مثمرة ، عظيمة الاهمية .

واذا تعلمت كيفية استعمال توكال اللاشعورية بطريقة منتظمة ستجد لذة ومثمة في حصولك على ما ترغب بسهولة وبلا عناء .

واحترم « الصمت » لكي يرفعك ويرتفعك ويشرفك ويعلي قدرك . فالذين يشكون الفقر والعوز ، ويتحسرون على اخفائهم الزريع في الحياة ، ويندبون سوء حالهم وخيبة امالهم ، هم الذين لم يوفقوا في توثيق هذه الصلة الروحية - صلة العبد بربه ، والتوجه اليه بقلب سليم . فمن هذه الصلة تنبثق كل معاني الخير والفضل والمكالم في الحياة .

والسبيل الى القوة والمنة ، انها يكون دائما عن طريق هذه الصلة الروحية التي يعززها هدوء النفس وسكنتها ، وصفاء الروح .

ومحتج على المرء ايضا ان يكون على صلة وثيقة ببركز فرديته لتعزيز شخصيته كما ينبغي له في الاوقات التي يرتفع فيها دوي العجلات وسيور الآلات اللامنتورة ، ان يكون بمثابة « الدينامو » . . وان يفرق في صخب الحياة الموضوعية وضوضائها اذا اراد ان يعرف طاقات الكون الهائلة التي تخفي على الرجل العادي .

واذا استطاع هذا الانسان ذاته ان يرتب نفسه حسب فعل القوى الخفية ، اللامنتورة ، فانه سيفقد ولا شك « محركا ديناميكيا » ذا قوة هائلة جبارة .

والصلاة ، التي هي جزء من العبادة في جميع الاديان ، ان هي الا صلة العبد بخالقه ، وهي احدى الوسائل التي يتوسل بها للتقرب اليه تعالى .

والصلاة معناها الدعاء بحسب اصل استعمالها اللغوي . والدعاء وسيلة من وسائل التقرب الى الله كذلك . وقد جاء في الحديث الشريف : « الدعاء هو العبادة » .

التأثير او الانفعال الذي تتلقاه متفقا مع « العقل » فمن الخير لك ان تطيعه وتتبعه بكل دقة .

تخيل نفسك كما لو كنت وسيطا ترسل بواسطته الطاقة العالية . . وافتح الابواب على اخرها لهذه الطاقة ، وسجد نفسك عند استيقاظك اكثر قوة واكثر نشاطا . وستشعر بزيادة في عافيتك ، وسرور ان عزيمك وقصدك قد ازداد ايمانا واجابية ، وستواجه الحياة بانجاء اكثر مرحا واكثر بهجة .

ومن الافضل ان تخلو الى نفسك في اوقات معينة . وانسب الاوقات التي يمكن ان تتخبرها هي في الصباح الباكر قبل مغادرتك الفراش ، وفي المساء قبل ان تغض عينيك للنوم . . وحاول ان تشعر بتلك الكلمات التي تنفثها بها . ردها بطريقة مؤثرة على قدر ما تستطيع . وبما ان اللاشعورية لا تملك اية قوة استدلالية او تفكيرية ، لذا فادخل فوراً بما يستحق الاعتبار في تحديد التغييرات الضرورية بالتفصيل وبكل ابصار . والمقل اللاشعوري بؤرة المادة . وفي امكانه ان يعبر عن نفسه ببعض العادات السيئة .

الضعف نائبي عن المادة :

ان اكثر ما يغيب من صفات الضعف والعجز نائبي عن بعض عاداتك ، ولذا فمن الاهمية بهكان خلق عادات جديدة للتفكير وللعمل مع هذه الذات اللاشعورية ، والمعدات انها تتكون عن طريق التفكير وتأتي الضرورة القصوى لكي تكون ايمنا ومخلصا في تادية ايجادك . واللاشعورية معتادة جدا على الالفة والانتلاف ، وعلى الاتزان والاستجمام . فاذا انت خلقت ايقاعا جديدا واهتزازات جديدة ، ستحصل على النجاح .

واذا انت عقدت وامر الصلة والمودة مع وعيك الباطن وادراكك اللاشعوري الذي يطلق عليه علماء النفس « اللاشعورية » فستجني فائدة عظيمة ما كانت لتخطر على بالك في جميع الاحوال . فكل شيء سبق ان قرأته ، او رأيته ، او سمعته او شعرت به ، مخزون في هذا الطور من العقل .

ومعنى هذا انه عن طريق صلة المودة والالفة مع هذا الطور من العقل ستجد امامك موسوعة كبيرة عن حياتك . يمكنك ان تستبد منها ما تشاء من المعلومات

ولن تجد احدا ضرع الى الله مرة الا عادت عليه
الضراعة بأحسن النتائج .

الطلب والانتباس :

والطلب الذي يأتي منك الى احد الناس على هيئة
الانتباس ، او يقدم بصيغة رجاء ، انها هو دليل الضعيف
والاستكانة . فالمساعد لا يلتمس ولكنه يأمر . والرجل
القوي الذي يحس بقوته ، ويشعر بكيانه يقول : « هذا
سينم عليه » ، وهو اذا قال فعل ، اما الرجل الضعيف
الذي يحس بضعفه فيقول : « أمل ان انجح ، وان
لا يصيبني الاخفاق في عملي » .

والرجل القوي لا يزهو بنفسه ، ولا يتباهى ، ولا
يتشامخ بانفه ، ولا يشفي في الارض مرحا كما لو كان
يقول : « يا ارض اشدي ما عليكي قدي » .. انه
يرهب وقد يلقي الروع في قلوب الآخرين ، ولكن بطريقة
هادئة مهذبة ليس فيها خدش للحياء ، او عنف ، او قسوة
او جفاء .

والخلق القوي هو الخلق الهادي ، الحازم ،
الريز ، الذي يعمل صاحبه بهدوء واتزان ، دون جلبة
او ضوضاء . يتصدى للطوارئ ، والنوابح بحزم ، وصبر
واناعة . ويتقبل الصعاب بالتبصر ، والتدبر ، والحيلة
والحنن ، والشرف في العواقب .

العرفق وميتناك :

ان الاقنسة التي تنفر من الشارع الطويل عندما
يجوس الفرد خلالها ويسير في دروبها اللثوية ، تكون
الخبرات والتجارب ضرورية كلها ، حتى وان كانت في
بعض الاحيان ضارة ومؤذية ، الا انها تقوده في النهاية
الى الطريق الرئيسي . ولقد تجولنا جميعا في مثل هذه
الاقنسة غير آسفين على التجارب التي قادتنا اليها ،
فلقد تعلمنا منها الكثير . وراينا ان هناك من لا يزال
متباطئا في سيره ، مزيئا . وهو بذلك يبدد الكثير من
وقته ، ولكنه مع ذلك متحقق تماما من عودته ، ومن
نصره الحاسم في نهاية المطاف او في آخر « المشوار » .
وهناك من لا يخرج من وعاء الطريق الا بقدر ما
يخرج الخابط في ليل ليتعثر مرة اخرى في الظلام الدامس .

فاذا صفت نفوسنا ، وسمت ارواحنا ، كنا اقرب
اليه من جبل الوريد ، « واذا سالك عبادي عنى فاني
قريب اجيب دعوة الداعي اذا دعان » فهو اكرم
مستول ، واكرم على عبياده من ان يعلق استجابته
على شرط الا مجرد الايمان به وبرحمته ، وبذلك بقول
القرآن الكريم : « وقال ربكم ادعوني استجب لكم » .
ولكن هناك الكثيرون ممن يباشرون هذه الصلة
بطريقة مخجلة فتبعدهم عن المقصد ، وتناى بهم عما
يبتغون من فضله ورضوانه .

ان اذل الذل ، واهم الهم ، واطلم الظلمة ، ابتعاد
العبد عن ربه . واعز العز ، واثور الثور ، واكوى
القوة ، قرب العبد من ربه . وفي وسط اعاصير الحياة
التي تتلاعب بقمم الجبال وتخلع القلوب بهولها لا يكون
الا الله .

وانها لطريقة واحدة للدعاء المستجاب ، وللصلاة
المقبولة التي نعدنا منبعها للقوة والجاه . وعن طريقها
يمكنك ان تصل الى قمة المجد ، وتبلغ ما تصبو اليه
نفسك من الرفاهية . هي المداومة على العبادة بغير
انقطاع ابتغاء مرضاة الله . فالعبادة كنز سمادة تلب
المرو . وفي هذا المعنى يقول العالم النفساني وليم
جيمس : « ان بيننا وبين الله رابطة لا تنقسم ، فاذا نحن
اخضعنا انفسنا لاشرافه - سبحانه وتعالى - تحققت
كل امياتنا وامالنا » .
والطريقة المثلى التي ترفع قدر الانتباس هي ان

يتجه الى الله تعالى بقلب صاف سليم وغيور ، ويجعل
عبادا اياه كأنه يراه .. وان يكون صوته بين الخافتة
والجهر (١) .. وان يحزم الدعاء ، ويوقن بالاجابة ،
وبمصدق رجاء فيه (٢) .. وان يلح في الدعاء (٣) ..
وان يكون في كل الاحوال متضرعا ، خاشعا ، تهلكه
الرغبة والرهبة (٤) ..

وما اروع قول الدكتور (الكسيس كارليل) الحائز
على جائزة نوبل في كتابه : « الانسان .. ذلك المجهول » :
« لعل الصلاة هي اعظم طاقة مولده للنشاط عرفت الى
يومنا هذا . ان الصلاة كيمعن (الراديو) مصدر
للإشعاع ، ومولد ذاتي للنشاط .. وبالصلاة يسعى
الناس الى استزادة نشاطهم المحدود ، حين يخاطبون
« القوة » التي تهين على الكون ، ويسألونها ضارعي
ان تمنحهم قيسا منها يستعينون به على معاناة الحياة .
بل ان الضراعة وحدها كمية بان تزيد قوتنا ونشاطنا ،

(١) « ولا نجر بصلاك ولا نخافت بها وابغ بينك سبيلا » (سورة
الانعام) .

(٢) « ادعوا واتم موثون بالاجابة واعلموا ان الله لا يستجيب
الدعاء من قلب غافل » . حديث شريف

- (٣) « اني احب عبيد اللوح » حديث قديس
(٤) « ويدعونا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين » (سورة الانبياء)
« وانكر ربك في نفسك ضعفا وخيفة » (سورة الاعراف)

للتفوق والبراعة في الموسيقى أو النحت أو الأدب أو القانون ، ويمكن أن تكون مشاركة في صفات أعلى ، معلنة عن نفسها لتبدو كرفية جادة للتعريف بحقيقة كبيرة جاءت لتعزز البشرية ، وتشرّف الإنسانية ، وتعلو قدرها .

وإذا نظرنا إيماننا وجدنا كثيرا من العقبات تعترض طريقنا . فالبيئة المشائية التي تشجع الحزن وتبعث على الاكتئاب تحزننا في أمرنا وتعزل سعيينا ، وتوشوش على عتولنا . فإذا اضطررنا مكرهين للاستمرار والمثابرة على « طحن » العمل الغير متجاسس ، فإنها لكي نعمل أنفسنا وأولئك الذين يعتمدون علينا ، فكيف يمكننا أن نحقق نجاحا مع وجود كل هذا في طريقنا ؟ . كيف نحقق نجاحا إذا كانت سموات إيماننا تبدو قاتمة ، كئيبة ، ورؤيتنا المنطقية المعقولة لا ترى إلا بصيصا من نور ؟ . وإذا كان العمل على غرس الرغبة المضطربة — كما قلنا — هو بمثابة وعد بنيل مكافأة مناسبة ، وتعمد بتقديم ترضية مجزية ، فكيف يكون هذا ؟ .

معاهدة مع الإنسان :

في مثل هذه الحالة نرى أن العمل الرئيسي الأول الذي يتعين علينا القيام بهنّذه هو الوصول إلى تفاهم واضح في وحي مع الآتيا . على أن نلقى بكل ما في طبيعتنا من طاقة على الجهد ، وعلى أن نضع إيماننا تحت أمر قبيح . وبمعنى آخر ندخل في اتفاق مع أنفسنا لغرض كل جهد لنذله لتحصل به على الجائزة التي نستحقها ، ونحقق « مادة الشيء المرجو » .

وإذا كنا لم نستطع أن نرى الطريق ، أو نهيئ معالنه ، فلان هناك أمر ينبغي لنا أن نفعله ، هو أن نكف عن الإسهاب فيما ينبغينا من نجاح قبل أن نحققه ، أي نعمل بالحديث الشريف « واستعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان » . ونؤكد تجديد إيماننا في كل يوم ، وفي كل وقت ، كلها استسلمنا إلى ذلك سبيلا ، بكل ثقة ، وبكل اعتزاز . ولا بد سيأتي بعد ذلك الوقت المناسب الذي يتكشف لنا فيه الطريق شيئا فشيئا ، ويتبين لنا معالنه ، وتتسع إيماننا افاته ، وسندد انه يتقود رساما وبلا وبساطة — من خلال البيئة الحالية المعادية — إلى غايتنا التي نقصدها .

وليس من حقنا أن نرجو أو نؤمل أن نزل علينا الملائكة بمائدة من السماء علينا ما تشتهي أنفسنا من

وعناك من ينظر إلى مثل هذه الازقة كأنها هي مخوفة بالخطر ، بعكس ما كنا نراها . وهؤلاء لا يستحقون مدحنا أو ثناء حين يقولون : « الخير كل الخير أن نلزم الطريق الرئيسي إذا أمكنا أن نفعل ذلك ، فيستريح بالنا » . أما الذين سلكوا كثيرا من هذه الازقة بخبراتهم المختلفة ، وتجاربهم المتباينة فقد يكونون احسين استعدادا للماء مكان كبير في الحياة . وهؤلاء هم الذين يطبق عليهم المثل العامي : « اللي يعيش يا ما يشوف ، واللي يمشي يشوف أكثر » .

كان والدي حسب المادة التي اعتادها في تبصيري حين كنت طفلا صغيرا — ينهاي عن اللعب مع أولاد بعينهم يطلق عليهم « أولاد الشارع » . ولكني مع مرور الزمن انبثت لي فرصة لاحظت فيها تنشئة هؤلاء الأولاد بالذات ومدى تطورهم فوجدت أكثرهم نشا مستقيما ، قويا ، ذا شهرة واسعة ، وسعمة طيبة ، ولأى نجاحا وتفوقا عن طريق الثقة التي كونتها فيه تلك التجارب .

وليس من شك في أن هناك بعض الازقة التي يجب أن نتحاشى السير في مجاهلها ، لأنها قد تكون مخوفة بالخطر ، وقد تقود إلى « طغيات » مروعة ، أو منحدرات وحفر مخيفة ، وقد تعترض طريقنا أودية شقيقة ووهاد مظللة . وقد يكون أسوأ ما فيها تلك العلامات القليلة التي تحذر الشخص من الخطر . وعندما تقرب في رحلتنا من الوصول إلى الوجهة المقصودة تتعدد الأهداف شائها كشأن الأنهار العظيمة حين تنقسم في بعض الأحيان قسرب كسب الكون الدلتا (هـ) . . وكل من هذه الدلتا يقود — عن طريق قننا أو « قنابة » طويلة أو قصيرة — إلى نفس النهاية . والطريق المختصر أو « التخريبة » هو الطريق المنض عن غيره في جميع الأحوال . ومع ذلك فليس لنا أن نستخف بالطرق الملوطة أو نستتهين بها . حتى ولو جد في طلبها أو في البحث عنها في كثير من الأحيان مسافر اشعث أغبر اضناه التعب من كثرة التجوال .

وثمة طرق كثيرة تقود إلى نفس الغرض ، وهي انما تعتمد على نوع العقل فيها يتعلق بأي الطرق يمكن أن يتخيرها الفرد . والتوصل إلى معرفة هذا يجعل الشخص أكثر تسامحا وأكثر صبرا ، وإذا أناة واحتمال . فإذا كان لنا غرض بعينه نريد التوصل إليه ، فلا يتأتى ذلك — كما اعتقد — عن طريق التابل وامعان الفكر فحسب ، وانها وبساطة فعل يعبر عن دوافع مخبوءة في أعماق طبيعتنا ، وهذه يمكن أن تكون طوبحا

(هـ) الدلتا : جميع دلتا

(ث) الإنسا : أو الذات — الفرد من حيث هو شاعر بهويته الثابتة

تلك هي القوانين ، أما النتائج فيؤكدده محققة ،
أما فيما يتعلق بالبيئة ، فيمكن القول بأنه ينبغي
لنا أن نكون إيجابيين مع الكل - ما عدا العقل اللامتناهي .
غني لحظات الصوت يجب أن تكون سلبيين ، مفتحين
عقولنا لمؤثرات اسمي وأرفع منزلة ، ولتستقبل بترحاب
ومن صميم قلوبنا كل ما يأتي إلينا . فغذي هي لحظتنا
للذائل والنمو .

أما الحكمة الدائبة ، السرمدية ، المخبوءة في الوعي
الباطن فهي التي توجه وترشد بكل سهولة - النفس
النشيطة « المنطقية » . فلا تبدد الوقت في انتظار عقيم .
فالذين يبطنون دائما في الطلبات يطلون في امكانهم
لا يقدرون على تحقيق أي تقدم أو نجاح .

والرجل المعبري الفذ ، الذي أوتي مضاء العزم ،
وشجاعة القلب ، وصحة التقدير والحكم ، والتفوق
المذهل لسرعة حركة الذهن ، ذو العين الحادة ، والنظر
الشائب ، الذي يتطلع ببغلة وبكر من الذاتي والحذر
إلى العلامات والشارات ، هو الدعوى على الاستمرار
في تنقله وتحركه من مكانه قديما إلى الأمام .

وهكذا لابد أن يضي الإنسان في دروب الحياة . .
مطوق من صابها وأوصاها . . ليساير الركب ويحتديه . .
بل ليصل إلى مدارج الرقي والرفعة . . ويسمى ذرى
المجد والسؤدد . .

قد تكون الرحلة التي تقوم بها محفوفة بالمصاعب
والخاطر ، ومحيلة بالمحن والأحزن والشدائد ، ولكنها
ستقودنا على أية حال . بطريقة مزهية عن الخطأ ،
من أولية الخراب واليأس والقنوط ، إلى القيم العالية ،
والذرى الرغبة ، المنبغة .

وفي هذا المعترك من الحياة الناشطة ، علينا أن
نحافظ على مراكزنا وسمعتنا ، ونحصن أنفسنا بالإيمان
الصحيح ، وننتدب إلى الأمام بحزم وعزم وثبات . وبهذا
نكون قد أقمنا حالات أكثر نفعاً ، وأكثر مواظبة للهداية
والرشاد .

إن السفينة التي ننشر اشترعنا ثم ننزلها ثم تعيد
نشرها وطبها يتردد وعدم اطمئنان دون أن يكون لديها
الجرة لمواجهة الرياح ، ستغرق حتماً في الوصول إلى
الميناء الذي تصدده . أما إذا كان هناك اقناع بان الرياح ،
ولو كانت معاكسة ، هي ذاتها مصدر القوة ، فإن
السفينة حين تخر عباب البحر الواسع ناشرة قلوبها
باستمرار ، حتى ولو كان من الضروري طبها ، يمكنها
أن توجه بسرعة وبخفة وبكل ثقة وثبات واطمئنان إلى
برغاً السلامة والأمان .

طعام وشراب . وليس لنا أن ننظر أن تائبنا طير من
السما وفي مناقيرها خبز يفي بحاجتنا ، ويزودنا
باحياجاتنا التي يمكننا نحن أنفسنا أن نوفيها ، أن كنا
مخلصين . فنحن يجب علينا أن نعمل جادين مجدين ،
متحمسين ، كلما وجدنا تحت أيدينا ما نؤديه .

إن أولئك الذين يتصفون بالإيمان والصدق علاوة
على اهتمامهم بتأدية الواجبات الصغيرة التي التفتوا
عليها وعهد إليهم بها ، في حينها ، وكأحسن ما يكون
الاداء ، هم الذين سادوا وسيطروا وملكوا ناصية
الأمور .

والفرد من هؤلاء إذا لم ته هذا ، ننتابه رغبة أو
شعور يشبه رغبة في إمكانها تلف اهتزازات نافعة
تجعله عضوا بارزا ، ذا ذكاء خارق ، ومقدرات مختلفة ،
وقوى عقلية ممتازة ، تتيج له أن يضع يده على كل ما
يراه مناسباً له ، وتجعله قادراً على أن يستعمل لمنفعته
كل ما يلائمه .

أما إذا لم يتمكن الفرد من التوصل إلى هذه
الدرجة ، فإنه لن يستطيع أن يستتري غذاءه اللازم ،
أو يستوعب قوته الضروري من البينات التي تكتنفه ، أو
مما يحيط به من مبات .

إن كل ما نحتاج إليه قريب منا ، وتحت متناول
إيدينا ، ولكنه لن يكون ذا نفع أو فائدة ما دما غير
موفيق ، أو حتى غير مستعدين لتبميزه ، والتحقيق منه ،
والاعتراف به ، ثم الانتفاع به ، والاستفادة منه .

فعلى الفرد أن ينتهز الفرص كلها سنحت له .
ويقدر ما يكون مخلصاً ، آميناً في استعمالها ، بل إن
هذه الفرص - حين تواتيه - يكون الزاد عظيمها ،
والإعداد وإغرا غزيراً ، وإذا هو استعمل القليل السذي
يملكه بحكمة وتعتل ، فسرعان ما يزيد ويرسو ويؤتى
أطيب الثمرات .

أذكر هذه القوانين :

١ - التوافق ضروري لجعلنا أكثر ادراكاً ، وأكثر
وعياً . فهو - أي التوافق - تكيف المرء نفسه وفقاً
للبيئة بصورة تضمن له تحقيق احتياجاته ومطالبه بشكل
مقبول اجتماعياً وشخصياً .

٢ - علينا أن ننتهز الفرص التي تواتينا كلها
سنحت لنا ، ونستغلها إلى أقصى الحدود ، وبقدر
ما نستطيع .

٣ - نطمح علينا أن نتمسك بالموضوع السذي
نأمله وتنميه ، وننخيله إيماناً ، عن طريق التصور
العقلي - كأننا نقتنيه فعلاً وكأنه في حوزتنا .

القائد العسكري

قصة بقلم / حسن البنداري



قطعتها مع الفئادر بعد اللقاء الأول شفاء جليل . يده جريئة وماهرة تزيل كل اثر . ولا ام للمستقبل الاسراء بعد المؤسة وقيل الاربعين اثنى بالثانية : انفذ رغبة المرحومة . ما جزاء الكاذب على الاموات ؟ الثانية الا ربما : ساعة الاوبرا دقت مرة واحدة « حذار من ان تفقدى احترام الرجل » ، نصيحة قرأتها في حواء فبعتها « وصوني نفسك له » كاتبة نظريسة قليلة الخبرة : ولي صديقي ولم يعد . لن تهرب منذ الان الحسنة . الان ليعمد الساحر . وليحتو المسحورة ويلجأ بها الى الظلام الاخير

لكن الوقت سير دون لقاءه : اف . وارفس الارض . اهتز : حالة قيميبي اليسرى على مقدمة الكتف ارتها برهة . ابتسم : سوداء تحت البنفسج ارفع يدي واعيد الحيلة . واعدل من زجاج النافذة كبرآة مؤقتة ، الصدر مشدود . صلب ومثلي . والحجرة والممر يغلفهما صمت غريب وفي صالة البيت كل ليلة انصت لتادام حفرة . غراقت المرأة تخرج من الشقة زوجة ابي . ولحققتها . انا جاسوسة ناجحة ابي يا مسكين المرأة عند الجار ، صارت تستهيني — ايضا — عنه ابي الجار شمشون يمسح شاربيه ملطخ بروج الدماء ، ولكن ما البث ان اجتر صرخاتي فاصاب بوجع الدماغ وعندها تخونيني عينا صديقي انسى كل شيء

.. والميدان معبأ بالشمس . دائري يبدو من الثالث اشد استدارة والجواد مغروس في القاعدة ركبته الضخم ما زال يشير بصلب الى الباطلة ، ويرى حسناء الشركة منذ الف عام بنظرة واحدة وعسكري الاشارة ابيض صيف دكتاتور يحكم النهار والليل بلا سام غيتولى الميدان نظام ونسب يضجر :

تفرج الاشارة عن الطريق لتعود لشله من جديد : خرج النفس من الفم . عباد النفس الى اثم لمبة مسلية لن يمضي مليون ساعة في الجو الشمسي . بينها لا تكف ساعة الاوبرا عن التذكير بالرجل غادر غادر غادر

واعيد السماع لحظة . ثم اسقطه على المسافة الممتدة بين القاعدة الرخامية والسندوق الصغير قمرة . لكن كان يشغلها بطوله وعرضه . بين الاثنين ينسم . وينحنى . فاقفز اليه . يتألمني فأسبح فوق الاشياء . ولا يوقظني الا ابي . فحصلني عنه بتعاويذه اطبع فوراً لاني عاتلة ووقورة ، ومسئولة فاضل في صفر وظلام وكائن خفي وتقيح يجعلني اعرق

.. يحييني ، ابي دون توقف يدعني لجزائه المبعثرة ابله جت . ابله جت اتلقى الصراخ الرفيع : هات الحلوى . الحلوى . الحلوى مسئولة والمعاش ضئيل لا يكفي علمتك للفتى من حلول هذا اليوم . يا غرحة الوقورة بالبيكاربيوس . ويأتي وينصرف الرجال فاحزن . يأتي وينصرف الرجال فاصرخ في سري : متى يأخذني ؟ عيدة له ساكون بمسافة هائلة

وظلت يدي تعبت في المرأة حتى غيبت الظلام
المؤقت . هربت في اليوم التالي من المغامرة رغم الصاحه
وغضبه وتناول القرمص المبشري قل المؤمنين ، يغضفن
من ابصارهن . الزمن الاول مؤوود سخور الجزيرة
لوحقها الشمس والريح . فصاح النائر في وجه المد
الزاحف . انذر القوم بأكبر الغضب . فداسته اقسام
لا ترحم . بسباب الحقيقة يابى عسكري يقطع التذاكر
الى التمريشة . على رأسه لافنة : رسم الدخول ٢٥
ولميا نظر اليا بخت وافسح الطريق . وليضرن بخمرهن
على جيوبهن وتخاصرن فضاء المدينة العمرية : تطور
عسكري . خالف تعرف حركات :

وانت يا ابي طيب : هل تجد العون في القراءة .
بعصات شارب الجار على خد المرأة لا تزال .
دقت الساعة دقتين . اصوب اليها بصري .
ارتفع . . الثانية واعاد مسح الميدان من جديد .
يأتى . لا اثر للرجل . وتنفذ الشركة الان لتبدأ في
الخامسة الفترة الثانية . وكنت اول الخارجين عندما
اراك ولكن صرت اطلكا فاكون آخر من يراه الساعى
يقفد الابواب الثلاثة : ادنو من المكتب . التفتخين
السوداء . وفي الامر الضيق يلاحظني بحاجبيه الثقيلين
وهضرة الفتوح الذئب :

— مع السلامة .
يعلم اللام . . افهك : اجيب بهزة من راسي :
واصل السير في دتائق انجبل النور الاخضر لانهاع
في الدائرة :

الميدان يطل على الجلد يصدر رعب . الشمس لاذعة .
سواده تفرس فيه العجلات . من تحت اكثر اتساعا .
الاشراجى لا يكف عن التطلع الى التركي كلها ونسب
الاجهر : الجواز . بمسير كل منير يكرس الاشارة .
ويقفني بنظرة : لم يات بالناس . ونظرة : اعرف
ما بينكما . . اعرف غايشي . . يضايقتني ملح الوجه .
اذاني يطرقها الضجيج . . انشاء بذراع تلفني . .
سمعت اليك بعلم ابش . . حطمت جدران خوفي لكن
اردنتي بلا ورقة . هناك خلف نلال السميت الازرق
سوف اجسد الجواب ولن يعوق الفتاة المرمية شيء .
فلتعاثق الحساء الشارع العماري . ابحت عنه . لو
جاء ياعمسري فاجزئه . واقلب بلا بصير كتب السور
الاولي قل لى انى عاثة . تركنتي يده يوما والتقطت كازا
فتزكي تابط زورسا بعد ان ساوم البائع . لاحظت
غظي . . اعطاني الرواية . هدية ملى الى حسناي
فقد تجد في الرواية اجوبة كثيرة . فحفظت مسطور
الكتاب .

الان تعبت عيوني . وعرق اغسلني بسيل .
يتجول بحرية . وما من ظل يقي وجهي الأبيض . . العيون

الجو خال . الجو خال . . الزواج — مرآة —
عاكس لتصفى الاعلى . اس صديري انضغته . . هكذا
كان يفعل الرجل . انزل بكفي الى ما تحت الخصر غير
المرئي بحركة بطيئة دائرية . . هكذا كان يفعل الرجل .
اصعد اصابعي الى ازرار البلوزة البنفسجية . . .
انصسها واحدا واحدا . . حتى زرار العنق . .
افتحه . وافتح التالي . . اضحك وعيناي تنزلن من فوق
تكوبرتي السويتان الفطني . . هكذا كان ينظر الرجل . .
ادبر راسي بسرعة على حركة خلتي . . امر يبدي
على الازرار . . خصلة من شعري الاشتر انفصلت .
اعيدها وانا اتابع الساعى . . ازرار صفراء . . صدره
عريض . . السترة مفتوحة عن شعر مدبب . . كثيف .
اطمن على ازرار بلوزتي . . عيون الساعى تنسكى بجراة
على صديري . . يواجهي . . عنيف . . تثبتت منه رائحة
غير عطرية .
— لم اريشئا .

حيث . . واهرع الى مكنتي دون كلام راسمة
ابتسامة جامدة . . دفتر الوارد . ظاهر كفيه اخضر .
اجلس بضيئ على المكتب . . انا اقترض الشعر يانسة
حقا ! وتوالت منه الاشعار . واحب ان اسمع . . انت
موهبة مفتونة . . فاليك ايضا هذه القصيدة . . واحب
ان اسمع وادحت صديقي عنه : « الشمس الذئبية »
« القمر المظنون » ابي ابي . احزان هذا الكوكب .
نساء بها قلبي الصبي . . فقال صديقي انها لشاعرة اخر
كبير . . فمزقت كل اوراق الكاذب .
— الفستر .

لكن ظل يحفر في صديري . . اضطرر . . ليذهب
ليذهب الكاذب . . يغزوني عرق الصدر . . لا عطر . .
شيئا اخر .
بعدة . . فهرب . . لا يهمني ساعى المسعيد . لا
يهمني . واد مساتي راجعة بالكرسي الى الحائط فبدت
ركبتاي بلا عقلم . . اضحك واعود بالكرسي انهض
الى النافذة . . انا راضية . . اجلس فوق راس الشمال :
مركز مراقبة ميتاس . . ويناسب . فقط الشمال
والاشراجي والحركة التي في ازيداد .
والساعة اذار دائم بالخطر . . تبرع الى الثانية .
بالاندلس قروصني صديقتي قائلا : انت ناعمة . .
ناعمة . . ناعمة .

ينسيني الزوجة الخائنة : بقرا المجوز وينام .
لتنشط المرأة بحصنة بالقرص السحري انت ناعمة :
ناعمة : ناعمة وامتدت يده ولغمني . وارتفعت الاخرى الى
سقف التمريشة وانتقلت المصباح . اود الانفاد بك .
قلت تحت ارمك . سرقت ليلتها قرصا من المرأة . هل
يؤثر . ؟

مستلق تحت سنايك الجواد . أنا بسئت . لاحد
يشغل المسافة بين القاعدة والسندوق . اف . والشركة
مالت عنها الشمس .. ساكنة .. لا يغادرها الساعي .
قادم من بلاد الصعيد .. الشركة عمله وبיתה نزت من
قلبه الشكوى ذات يوم . الان لا اصق الساعي .
اتجاوز الميدان تعية .. انقر الرصيف المؤدى الى
الشارع التجارى « زوربا اليوناني » بالخط العريض .
اعلان سينما خلفه ورأى . الرجال اقل عددا . النساء
اكثر . يا سر اشارة التبادل . انا اتساعل .

الاشراجي يتساعل . ماذا لو تبادل العسكري
والفارس المكان . لم استسلم لاحلام . سورمولينا ..
احسنت صنعا .. كاتبة حواء ناقصة . ارغس حواء
لا اندم .. الشارع الصاخب شديد الحرارة . لا اسبح
فوق الاشياء يضايقتي الحر . ذراعي ابيض ولين لاتعابني
اصابع الرجل .. كايرو بالاس . زوربا اليوناني في ثلث
الشارع الضيق على جبهة السينما يرقص رقصة الالم .
اتجاوز الناصية . لا اتردد في التهادي الى السينما .
عيوني على اقدام العجوز الرافض . انتوني كوين .
سورمولينا . المعلم . الرواية . الصور . والساعة في
معصبي تدبيرة غير ذهبية . غير فضية الفاللة . وكايرو
تجمل اجمل التكريات .

الدرجات الاربعة تصعد بي . غيب الباب نظمرات
الثياب الذي هم بمعاكستي .. اندفعت بوقسار الى
الدعوة . نبرت الثياب .. تتودني بطارية القاعة
المائلة الى ممر القعد . ياه . منظر . بجواره مقعد
خالي . وسر هابط . اجلس والتكيف بيع نسبيا العطر
المزوج بدخان السجائر . انفي يستقبل الرائحة الرطبة .
حاجة ترد الروح .. خدر لذيق يريحني فارخي جسدي .
افرد سباتي تحت المقعد الامامي .. اتبين . بعد القعد
الخالي - صبية بنظارة ضعيفة البصر . لم يشغل
المقعد بعد . ليكن رجلا والممر الهابط ممدد لا تطاه
قعدم . ليكن رجلا .

تشكيلة الرؤوس .. تتابع الان الفيلم الهام :
حسن المعلم البوذي في الرمسار طرح العالم الامل وكنت
يا نفس تكفين بالظل .. اما الان مساقودك الى الجسد .
ينتظر اغلاق السفينة الى الجزيرة . زوربا يحتضن
السانتوري . اقوم بشئ الاعمال بالايدي . بالاقدام .
بالعقل . اف قد تكون نهايتنا عندا نخار عملا واحدا نقوم
به . الامجد الخرد تشدد .

يدعوني السقف المظلم الى النظر : انا ضقت
بالمشاهد . جنفاي يحاورها النوم : مد يده في القاعة
ولامسني . فرحت انسح في العلم : زوربا يرى الدنيا
بعمي فيل كما لو كان ذلك لأول وآخر مرة . «عندنا»
قال المعلم . انا لا اؤمن الا بزوربا لاني املكه واعرفه »

الخضراء حساسة تعاني من الشمس . وانا اثنى كايلا .
رطبة صيفا . ساخنة شتاء عكس الرجل الكامل
فاحببته لالتقي بالايدي والافئاس .. ويحملني بعدها
الترام الى حجرتي الحكمة : كان في الطلب يكون النار
في الحجر . وتشدني المرأة فلا اهم . اخفي من ان يرى
وابين من ان يخفي . اتعري . السر الممنوح ميراث
الزمن الاول . ننشط بداي . « اومن كان معنا فاحببناه »
لست بقادرة على الهروب من شررة ابي لكن لا يلبث
ان يطويه السفير والظلام وكائن المساء بلحظته الموقلة
في الطول .

محطة الميدان الثاني تحتضن الزحام الملون ...
الترام يساعد الى القطعة تركبه الحساء .. وشبكة
الاسلاك المعلقة حاجز بيني وبين الزرقة . لا امل في
اليقين ما دمنا لا نريد . لكن المائر صمد - يا عزيزتي -
ولم تمنع الد الاسود من توالد الانبعاث . اسمعي . ماذا
صنع المعلم في زوربا ؟ الترفانا خرافة .. لقد اخرج
نفسه من دائرة الظل لقد قادها الى الجسد واخاف ..
ثم اعترض . ثم ارسع العلم لكن كاتبة حواء ..
سرعان ما تذكرني فاهرب .. كاتبة قليلة الخبرة .
الثابتة والتصف .. ساعة البريد دقت . عزيزي
على كف عفريت . في نهاية الترام فجرها قتيبة : انكره
ساعة الغروب . عزيزتي فلنته ما بيننا . اجبت في
نفسي . يغضبك هروبي وسوف يرجع اليك عتلك
فلنباركني كاتبة حواء . في قلب الليل انطب الخط المائل .
فلنباركني كاتبة حواء .. بهتت عيوني الخض من البكاء
سورمولينا ارملة امتعت على الرجل واشبهت
المعلم .. موظف لنهم بشركتي . تحول الى دلال جبرس .
فتطوعت عيون لرافقتي عاهرة . بلا رجل ..

وازدادت الازرار الصفراء جرة . وتدونو
الافواه .. يدنو من زوجة ابي جارتا .. عزيزي
على كف عفريت . لا . لا . كف المعريت خالية . جالس
فوق المحطة .. يبحث مثلي .. المحطة حضر اليها
الترام . فانكى على السطح باحة . انا وقورة . لانام .
وتدافع الايدي الصاعدة والهابطة . انا لا انام .
انا وقورة وشقتني الصمت والضجيج . خلف الباب
يتهاوى وتاري المزعوم .

عجلات الترام لا تدور . ينتظرنني ؟ ويحسدني
العفريت بان رجلي هرب وانه سوف يلحق به ليميده
اشركك اشركك .. اهم بالركوب . لا . لا . فلارجع
ثانيا من نفس الطريق . ربما التاه . في ما يشده
الي . محفور في سمي هيسه : انا ندره واصيلة
وبنت ناس .

اعود الى الشارع . ظهري للميدان امشي على
خطواتي السابقة .

اغشى ميدان التمثال .. انضابق ازداد ضيقا
لتقلب امعائي .. ساندوش الظهر راح مغوله .. نقرى
يعلو .. يعلو .. والعسكري يقاوم .. بيننا التمثال
تمثال .. السيارة بفلتر .. صحية .. لكن الاولى
والاخيرة تنحدر من الشيء بالشعب منه .. زوربا الصغير
سرق اياه .. شبع من الكرز فانتنت بتابعيه
واضحك ضحكة الازملة في حضن المعلم وانا اطلع الى
الباضعة تشير اليها يدي الزكي .. حجرتي مظلة على
الميدان .. استرخاءة السينا لذيدة حجرتي مزودة
بمروحة ؟

واكبر الاشارة .. اعبر الشارع .
الحظ قبل ان ادخل العسكري غاضب . النور
الاحمر ، الجزاء . استدير . امشي الى الاسانسير .
مكتوم . وعرتي ينساب بلا رادع . مسمي هي السبب .
تلتصق البلوزة بظهري . المروحة تزيل كل اثر .. تجفف
ليسكب ابي الان في سمعي قراته . ابي ابي احزان
هذا الكوكب .

كاذب كاذب ساعى الصديد لا اعياى بجرانك . ولا
بصدرك الاسود . اخرج من الاسانسير . غصيبة قيل
ان اضغط الجرس فتح الباب عليه : افصح لي ، الرابعة
والربع . قال رايتك وانت قادمة لا اجيب ، اجري الى
حجرتي .. ارسى بالعقوبة . افزع الى النافذة . بعد ان
شغلت المروحة . افتح النافذة واطل على الميدان :
ابقي عليه وانا اغضض عيني لا ارى شيئا . يفشيشي
ظلام الحجرة ايام المرأة عارية .. المرأة والصغيرة في
الكلاب في سورمولينا تلتقي بالمعلم .

لقد جرف المد الاسود النائر المنذر ، واحشو
اصابعي في اذني كايلا اسمع خطوات الخائنة . عبسا
احاول وفي المرأة المس نعمتي فامرح لان ركبتني بلا
عظام . وتقول انك اردتني فلم تتخلي ؟

وتقول كوني فاكون .. فلم تدعني ؟
كم اتوق يا سيدي الى صحتي ، والكف الملعونة
ترتفع لي من الشراسة فانرت الى الورااء مذعورة
فتسقط الحيلة السوداء فلا اعيدها .

وحركة امعائي صعبة ، والمروحة تطيرني الى المرح
فاجري ويجري . ثم احتوى المعلم الازملة ليلة الفصح .
وانغرس في صدري صدره المذبذبة : اشم منك اغلى
العلور .

ان جسبي ليس الا مرضا وجريمة وشيخوخة
وموت . ولا اهمية للقرص السحري الان . وها هو
الفارس اخيرا يتبلبل ويترنل من جواداه . فيخلع
العسكري سترته ويلوح له . ويقطع الاثنان المسافة
القصيرة لتبادل المكان .

حسن احمد البنداري

هكذا قال زوربا . بس صدري . شغطني برفق اضح
ساقا على ساق ..

افتح عيني على زوربا وهو يغري المعلم بملاتاة
الازملة . سورمولينا يبتهمها رجال القرية . هاموا
بها عروبا . بصقت على الارض امام الرجال اللاهين
بالنغزة « اشكرك » .. قائلها للمعلم عندما غرد لها مظلة
المطر « اشكرك » بليلت المعلم . ابخلق في زوربا الراقص
ابخلق في زوربا الراقص ابخلق في زوربا الراقص . ابني
مات متغلبت بالرقص على الفجعة . قالوا : جن زوربا .
جن زوربا . جن زوربا . لو لم ارقص لمت . فابضى
المعلم ليلة الفصح عند الازملة لتنتشر في لحظة الهبسة
المحموة . انا هربت من صديقي . سمعت النصيحة .
وما زال المرح الهابط بلا اقدام ولم يات الرجل بينهما
جارتني تستحث نظارتها الطبية .. خائفة على الازملة .
سورمولينا تلتقي الحصى - صابرة - يوم عيد
الفصح .. ارجوا العاهرة .. القرية خرجت للرجم ..
ارجوا العاهرة . انقبا لشباب احبوا وانحدر .
اهب واقفة . اغادر القاعة . تعرف قديمي
الطريق .

تسلميني الرذعة الى الباب . يفحصونني ..
تنزلني الدرجات الاربعة . لا تكفي . الحذر بملغتي وانا
ايحت من الشاب الذي تردد في معاكستي . اريده الان .
يجروني .. الحفلة القادمة سورمولينا هام بها كل
الرجال . انا حسناء . واحب ان يتمتعني رجل .

لقد ذهب رجلي ولن يعود . تذكر .. فانا
لا نعلم الا بصار ولكن نعلم القلوب التي لا تلتقي
وتقول انك اردتني فلم تتخلي ؟ ان جسبي ليس الا مرضا
وجريمة وشيخوخة وموت هكذا قال زوربا والشجرة
الجرداء عجزت عن وقاية المرأة وقاتل في اذني : ان ما
بيننا اكبر من الورقة . فان الاتحاد الشرعي ليس له طعم .
انه طسام بدون بهار هكذا قال زوربا . وقتها كان
بيننا ابي .

عيون الحفلة القادمة تطاردني . نسيت سورمولينا
زمن الحمران بالقادم الصغير .. ليليس الحسناء الآن
رجل .. وتقول انك اردتني فلم تتخلي ، ليليس الحسناء
اي رجل .. وابستمت وبكت الازملة في صدر المعلم اود
لو اعود الى البيت كي يتلو ابي في سمعي قراته .

اقدامي تسرع .. الشارع .. يلوح لي جزء من
السور الدائري بصري عليه . ثم انظر في ساعة
معصمي . الرابعة . باقي على العودة ساعة فلاشاهد
معرضات الشارع حتى الخامسة . لا . في انمي
رائحة القاعة المعلم شم سورمولينا احتاج الان الى
سجارية . اضحك . لم يسبق لي التدخين . ولكن الاولى
والاخيرة .. لكن الاولى والاخيرة .

”شناشيل ابنة الجلي“

شعر / بدر شاكر السياب
بقلم / محمد سليمان حمد الفهيد



شعر / شناسيل ابنة الجلي

الشناسيل كما يذكر الشاعر هي : « شرفة مغلقة ، مربية تكبر من الخشب المزخرف والزجاج الملون ، كان شائعا في البصرة وبغداد قبل مائة سنة » والجلبي هو في اللهجة العراقية الدارجة السيد . ويحمل الديوان عنوان اولى قصائده البالغة خمسا وعشرين قصيدة .

يحكي الشاعر من خلال قصيدته الاولى ذكريات طفولته ويعود بالزمن الى شتاء جيكر وسحابها الذي ينساب منه النور كما ينساب النعم الحالم من آلة المزف وتدور في خلده خواطر جمة فمن تهفها جده في ظلال الجوسق البتل الى مرح اخوته بين التخليل يرددون انشودة المطر الى غرحة الفلاحين بالغيث المنهر ، وهو في خلال ذلك يربط شرفة محبوبته :

« وابرقت السماء .. فلاح حيث تعرج التهر
وطاف معلقا من دون اس يلثم الماء
شناسيل ابنة الجلبي نور حوله الزهر
عقود ندى من اللابل تسطع منه بيضاء
واسية الجميلة كحل الاحداق منها الوجد والسر »

ويتوقع الشاعر رؤية محبوبته بعد كل دوي من الرعد وينتظر اشراقة نورها الذي ينساب من شناسيلها



الشاعر في سطور :

- ولد بدر شاكر السياب بجيكر احدى قرى العراق الجنوبي في عام ١٩٢٦ .
- انتقل الى بغداد والتحق بدار المعلمين العليا وفيها تخرج .
- عين في وظائف عديدة كالتدريس والصحافة والنايلف والترجمة واعمال حكومية اخرى .
- يحل مكانا بارزا في ريادة الحركة الشعرية الحديثة في العالم العربي ، ورغم تبحر حياته فقد زود المكتبة العربية بسبعة دواوين ثم عن ثقافة شعرية عميقة انتقل الى جوار ربه في المستشفى الاميري بالكويت في ٢٤ ديسمبر ١٩٦٤ بعد ان :

« كفن بالاوراق آهانه
وارتد يرثيها بأياهه
واستأسرت ابياته روحه
فطاف ييكي حول ابياته »

الى ايامي الحلوه ،
الى داري ، الى غيلان التمه ، الى اهلي ! » .

السياب وام كلثوم

وتوحي اليه كوكب الشرق بصوتها العذب ذكرى
احبة لم يخلصوا في محبتهم وتحيي في نفسه طيف «ايامه
الخضراء» التي بعمرها الزواج ، وهو في تصديده لم
يحدد هل كان زواجه ام زواج وفتية وهي واحدة من
احب او ادعى محبتهم ليقنع ذاته بانها عاش حياة مليئة
بالحب وان كانت الحقائق تشير الى ان ذلك الحب كان
معظمه من جانب واحد هو جانب الشاعر الذي يحاول
جاهدا فك عقدة حبه والفرار من معاناته العاطفية
التي تشكل جزءا من مأساته الطويلة :

« واشرب صوتها .. فيضل يرسم في خيالي صف اشجار
اغازل تحتها عذراء ، اوهاها

على ايامي الخضراء بعمرها ووارها
زواج . ليت لحن العرس كان غناء حفار
وقرعا للمعاول وهي تخفر قبري المرموم منه القاع بالطين»

وبعد ان يندب حظه العاثر وحبه الخاسر يلتقي
باللائحة على احبائه حتى الحقيقيين :

« قساة كل من لاقيت : لا زوج ولا ولد
ولا نخل ولا انبا واخ فيزيل من همي .. »

من ليالي السهاد

ويوجز الشاعر من خلال احدى قصائده جانباً من
قصة حياته فينطرق الى الحديث عن طفولته :

« والقي البرق ، ارقص ، ظل ناقدني على الفرقة
فذكرني بباض من حباتي كله الم
طفولتي الشقية ، والصبا ، وشبابي المفجوع تضطرم
مشاعري البريئة فيه ... » .

ثم يصف مرضه :

« تلاقني الاسرة بين مستشفى ومستشفى
ويمكنني الحديد .

ومن دمي ملا اطباء
قناني ، وزعوني في القناني ، تصبغ الصيفا
دماء والسناء .. »

وفي جانب من القصيدة يعلن ثورته على الشيوعية :

بفارغ الصبر ولكن الاخير ينفذ ويبقي حلمه دون تحقيق
لانه محض خيال شاعر :

« غير اني كلما صفقت بدا الرعد
مددت الطرف ارقب ، ربما اثنق الشناشيل
فايصرت ابنة الجلبي مقيلة الى وعدي
ولم ارها . هواء كل اشواق ، اباطيل
ونبت دونها ثمر ولا ورد ! » .

ويرى المثال لقصائد هذا الديوان ان معظمها تحكي
ذكريات الشاعر في فترات مختلفة من حياته ، كان القصد
من وراء سردها الهروب من حاضره المرير الى ذكريات
ماضية ، بعد ان استفحل به المرض وخيم على مستقبله
شبح الموت في اخريات حياته .

اقبال الوفية

اقبال هي زوجة الشاعر المخلصة التي وقفت الى
جانبه في رحلة عذابه — وهو « افقر اهل الفتر » —
تخفف عنه رزه المرض وتغض الطرف عن سقطاته
وعصبيته في الوقت الذي كان يحملها فيه تبعية ما جناه
من زمانه ، ولكن بعد ان يهدأ اليه يفوق الى نفسه
ويستسمح زوجته وينصفها :

« اوصدي الباب ، فدنبا لست فيها
ليس تستاهل من عيني نظره » .

او يعتذر :

« ربما ابصرت بعض الحقد ، بعض السام
خصلة من شعر اخرى او بقايا نفم
زرعتها في حياتي شاعرة
لست اهاها كما اهاك يا اغلى دم ساقى دمي » .

مرحى غيلان

في ذات ليلة من ليالي السهاد قضاه في لندن بحثا
عن الدواء وطلباً للاستشفاء تعبر رؤياه به الى جيكور
والى ابنه غيلان واهله :

« كان الصبح اشرق في العراق ، وتعبر الرؤيا
بحارا بي وتطوي الف درب في الدجي تاهاً » .
يدعو ربه ان :

« اعطني يا اله الشرق والصحراء والتخل

الصبا والزمان لن يرجعا بعد ،
فقري يا ذكريات ونامي » .

نداء من المقبرة

تمر بالشاعر لحظات ياس قاتلة تصحبها اوهام
الموت الذي كان صاحب هذا الديوان كثيرا ما يفتنى
رؤيته ليخلصه من آلامه وينقذه من يأسه وعذابه . فما
هوذا في وحدته الموحشة تتسلل الى غرفته الموصدة
الباب اشباح الموت تحيل اليه نداء امه عبر سكون
المقبرة متسائلة :

« انتقمم الليلا

من دون رفيق ؟

جوعان ؟ اناكل من زادي

خروب المقبرة الصادي

والماء ستنهله نهلا

من صدر الارض » .

ثم يتأديه

« ... تعال ونم عندي »

فهل تراه بلبي هذا النداء الغريب ام يتردد خائفا ؟
يكتظربا عياها ان يجيب :

« سساذ دربي في الوهم

وانني فلقاني امي » .

ان المرض العضال الذي لازم الشاعر واحساسه
بالموت البطيء جعله يستش مصيره وينظر الى الموت
على انه : « ابني واخذل من كل ما الحياة » وان :
« السعيد من اطرح المعب عن ظهره وسار الى قبره » ،
ليولد مؤننه من جديد » . فلا عجب ان يرد على نداء
امه قائلا :

« بضى ابد وما لحنك عيني

ليت لي صوتا

كتفخ الصور يسمع وقعه الموتى . هو المرض

تفكك منه جسبي وانخت ساقبي

فما امشي ، ولم اهجرك ، اني اعشق الموتى

لانك منه بعض ، انت ماضي الذي يمضي

اذا ما اربدت الافئاق في يومي فيهديني » .

فالخير اصبح خاتبة المطاف لدى الشاعر والكسان
الوحيد الذي يستطيع ان يدفن فيه آلامه وآهاته بعد ان
طال صراعه مع المرض واعياها البحث والتفتيب من
« ارم » الجنة المفقودة :

« وتتبعني عيون الموت من زمر البنادق نز بالشرر
كواها ... في دروب الجوع الهت زانغ النظر » .

واذ يتورد الانسان في على العبودية

انور على الشيوغية » .

وفي جانب اخر نراه يحكي قصة تشرده وضياعه وتنقله
غريبا عن جيكوره حتى جاءه الصبح الباسم :

« وذك مسائل الطاعون في بغداد ابطال

فقلت سساؤقد القرا

سراجا عند بابي ، انه نظري ! اما قالوا

بسان الشر قد دحرا ؟ » .

ويعود الى جيكور التي ترحب بقدميه وان جاءها كسيحا :

« وعدت الي بلادي . يا لتقالات اسعاف

حيان جنازتي ! ممتدا فيها ائن رايت غيلنا

يجدن بانظاري ، في السماء وغيبها السائي » .

ولكن سرعان ما يهده الداء وتتخذه الجراح وتعاوده
خيالات الموت :

« غريق في عباب الموج تنحب عنده الفاقه

تئن الريح في سعف التخل ، عليه .. ترثيه

قصائد الحزينة بين اوراق من الدفلى او الصفصاف
تبكيه ! » .

المعودة الى جيكور

لم ينس السياب جيكور مهبط راسه وملعب صباها
بل تمنى بايقانها وتخليها ازهارها السكرى وطيورها
على انه : « ابني واخذل من كل ما الحياة » وان :
« السعيد من اطرح المعب عن ظهره وسار الى قبره » ،
حتى اصبحت كأنها مكان مشهور لطلول ما ردد ذكره .

« نك امي ، وان اجنبا كسيحا

لانا ازهارها والماء فيها والقرابا

ونافضا يفتني ، اعشاشها والقابا

تلك اطياف الفد الزرقاء والغبراء يعبرن السطوحا

او ينشرن في بوبب الجناحين كزهر يفتح الافوا » .

هذه هي جيكور التي تعتبر في نظر شاعرنا جنة
الله في ارضه لا يضاهيها جبال اخر « وتشير عنده الى
الطفولة البريئة ، والى الصبا والفنوة ، والى الناس
البسطاء ، والى الفلاحين الكرماء ، والى الاخلاق والمثل
العربية » وهي لم تتغير ولكن :

« آه .. لكن الصبا ولي وضاع ،

« أرم ... »

في خاطري من ذكرها ألم ،
حلم صباي ضاع ... أه ضاع حين تم
وعصري أنقضى » .

والخام في ديوان « شناسيل ابنة الجلي » يخرج
من تأملاته بالملاحظات التالية :

أولا : ان شاعرنا السياب متمسك بالحياة وان
داخله اليأس في لحظات من حياته وكانى به يطلب
الموت لتوهب له الحياة ، ألم يقتل في ديوانه « منزل
الإفنان » :

« لك الحسد مهما استطال البلاء
ومهما استبد الام
لك الحسد ، ان الرزايا عطاء
وان المصيبات بعض الكرم » .

ثانيا : تصائد هذا الديوان تروي ذكريات الشاعر
ايام الطفولة والصبا وجوانب مختلفة من حياته يلجأ
اليها غارا من واقعه المرير ومأساته الطويلة ولسان
حسالة يردد :

« وبي ذكر امس عزاء لثنا
وما اعذب الامس للذاكر »

ثالثا : بدأت الرموز والاساطير تتجلى في هذا
الديوان على غير عادة الشاعر في ديوانه السابقة .

رابعا : الصور الشعرية يبدو فيها الاهتمام
الواضح بالناحية الشكلية اكثر من الاهتمام بالمضمون
الذي يعد مكررا في كثير من القصائد .

ومما لا شك فيه ان لانتقاد المرض على الشاعر
في اخريات ابيه اثرا كبيرا في الاقتال من فرص اطلاعه
على الثقافة الشعرية وما استجد فيها ، وكذلك لعزلته
« ونواته في سرير من دم » دور في فقر حياة الشاعر
بالتجارب الجديدة ، ففي احدى رسائله الى زميله
الاستاذ جبرا ابراهيم جبرا يقول « ... لا انتقلع عن
كتابة الشعر ، انه المزمع الوحيد الذي بقي لي المشكلة
بشكل تجارب ، من اين تأتي التجارب الجديدة وانا على
هايش الحياة ؟ »

وفي نهاية هذا المقال المتواضع والذي تصدنا
من ورائه تقديم باقة ورد في ذكره والتعرف على بعض
من جوانب حياة شاعرنا الراحل وذلك بتذوق مقتطفات
من شعره في ديوانه « شناسيل ابنة الجلي » نسوق
هذه الكلمة للذكور خليل حاوي من مقال له في مجلة
« الاداب البيروتية » عن السياب :



نجل الشاعر بدر شاكر السياب
في ميدان البصرة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhril.com

« كان تحديه للبلاء غشا اخر لا يقل عن عظيمة
فنه الشعري ورغم ادراكه بفوات الوقت فقد ظل يطلق
الشعر وهو في مصبة الموت ويقتف من داخله كل ما
اخزن قبل ان ينطوي غائرا العربية وكأنه حين احس
باختصار العمر توجهت بعقيرته واخسبت واعطت
مواسمها دفعة واحدة وفي فصل واحد اعطت ما تقصر عنه
الفصول في عمر طويل » .

رحم الله بدر شاكر السياب وطيب نراه فقد
كان ايوسا في محنته شاكرا لله فيها ابتلاء ، وشاعرا
سياس الكليات ، سنذكره كلما اثنق في الاجواء نوره
بمثل ما اراد :

« وداعا يا صحابي ، يا احبائي
اذا ما شئتو ان نذكروني فاذكروني ذات قراء
والافو محض اسم يتدد بين اسماء
وداعا يا احبائي ... » .

الكويت — محمد سليمان حمد الفهد

نتيجة

بمسابقة أفضل كتاب عن الكويت
(في العام الدولي للكتاب ١٩٧٢)
كما أعلنتها مؤخرًا : وزارة الاعلام
في الكويت

أولاً : جائزة بمقدارها ألف دينار لكتاب
« الكويت - دراسة سياسية » للفكر حسن
الإبراهيم باعتباره أفضل كتاب ينشر عن الكويت
ومؤله أحد أبناء الكويت .

ثانياً : جائزة بمقدارها ألف دينار لكتاب
« الهجرة والنزوح البشري في المجتمع الكويتي »
للكاتب محمد عبد المجيد ، باعتباره أفضل
كتاب ينشر عن الكويت ومؤلفه أحد أبناء البلاد
العربية الشقيقة .

ثالثاً : وحيث انه لم يتم اي كتاب عن
الكويت مؤلف اجنبي ، وتشجيعاً لحركة التأليف
وتقديرًا للجهود المبذولة ، نقرر منح بكاسات
تشجيعية للكتب السبعة التالية كحائز للمشي
في التأليف مما يسعدو بالفائدة على البلاد
والمجتمع والحركة الفكرية والادبية :

١ - الحركة الادبية والفكرية في الكويت
- د. محمد حسن عبدالله

٢ - الحركة الثقافية في الكويت
- امين عز العرب

٣ - مع فكرنا الكويتية
- ايوب حسين

٤ - الكويت : مصادر المعلومات والبحث العلمي
- سليمان كلفرد ثريا قابيل د. احمد بدر

٥ - الكويت : ١٩٧٢
- سليم زبال

٦ - تاريخ الغوص على اللؤلؤ في الكويت
والخليج العربي
- سيف مرزوق النسيان

٧ -

Kuwait:
The Development of One
Resource Economy.

- د. اسكندر النجار



عبدالرحمن محمد الربيعي .. وحديث عن القصة

اجاب القاص عبدالرحمن محمد
الربيعي . سكرتير مجلة الانلام
العراقية . مشكوراً على استئالة
وجهت اليه . فقال :

● مكانة القصة العراقية في الوطن العربي وخصائصها :

- بدأت القصة العراقية في
السنوات الأخيرة بانحاز مكانة طليعية
في القصة العربية . وبدأ القاصد
العرب والمستشرقون يهتمون بها
اهتماماً خاصاً . وهذا التطور هو
جزء من التطور الثقافي الهائل الذي
تشهد البلاد بعد ثورة نوز الاولى عام
١٩٥٨ . فبعد ان كان عدد القصاصين
قليلاً جداً في الفترات السابقة أصبح
عددهم كبيراً اليوم ونشرت عشرات
المجاميع القصصية .. كما ان تطور
القصة في العراق هو ايضا جزء من
تطورها في الوطن العربي كله ولذلك
فان خصائصها تكاد ان تكون مشتركة
لأنها تطرح هوماً مشتركة ايضا
يعاني منها الجيل العربي الجديد
والتي توجت بنكسة الخامس من
حزيران عام ١٩٦٧ .

● كيف تختار شخص قصصك؟
- معلم شخصي قسمي اختارهم
من المثقفين ، يعيشون وضع المثقفين
في الوطن .. قلقهم .. تبعهم ..
طموحهم .. انتهاءهم السياسية ..
فشلهم .. نجاحهم .. الخ . ونادراً
ما اكتب عن شخصيات تنتهي لغیر
هذه الفئة . واختاري للمثقفين متأت
من رغبتی في طرح قضاياهم في مرحلة
الارهاص هذه التي تعد بالف عطاء
والتي يشكل فيها المثقفون الطليعة
الفائدة ..

● كيف تكتب ؟
- اكتب وأنا منحاز للجديد و احياناً
ادافع حتى عن مثالب هذا الجديد ،
لايماني بان هذا الجديد هو الحياة
نفسها بكل تدفقاتها وأخطائها
وعطاءاتها .. ولا اغازل اي اردناد
للوراء لانه جنتون كبير من يحاول
ايقاف تدفق الحياة واستمرارها . فهو
يكتب على جهده هذا الفشل الحتمي .

● رأيك بالقصاصين الشباب :
- القصاصون الشباب في العراق
يشكلون نسفاً جديداً في جسد القصة
العراقية الذي كان محتجماً تقريباً .
فكانت كتاباتهم مرحلة الشباب
من البطء وخسوف أصواتهم .
وهؤلاء القصاصين من هم مدعون حقا
وتطوروا في الكتابة .
الأخر تنتميه الموهبة ومع هذا نجد
محسوراً في هذا التيار .. ولكن
سيستأبط حتماً فالطريق متعب وليس
سهلاً بالمرّة ..

● ما هي أحدث كتاباتك ؟
- قصتان نشرت الاولى في عدد
اب من مجلة - الاداب - اللبنانية
بعنوان « مملكة العوول » والاخرى
بعنوان « طقوس منكسرة في تارخ
المدن التي انتصرت » وقد نشرت في
العدد الاخير ٣ - ٤ من مجلة الموقف
الادبي السورية .

● وفي الزاوية ؟
- انهيته كتابة روايتي « الانتار »
وقد بعثت بمسودتها الى دار العودة
في بيروت ليجري نشرها في بداية
الموسم الجديد .



شعر فيصل السعد

تأملات ساخنة

وجئنا لا نعي من أين
عبرنا بالمرائب بحر مونا
حملنا روح من ماتوا بخنجرنا
وهشمتنا المراكب بعد أن عبرت خطايانا
تسرى من يحمل الموتى
تري من يعصف الجرح الذي في القلب ينفث
هو القدر الذي لو جئت ينفث
لاني لم ازل انسان
بيبع العمر بالجان
سببنا بعضنا بعضاً
ونسحب من صدور الناس دُخاناً
ويركلنا ارتعاش الخوف يركلنا ،
فنفقني ننشد الفجران للذات
ألا يا هوق الموتى من الأغواء
خلّ البقطة الأخرى أن ركضوا وراء الذل ،
من ركعوا لصوت بنادق الإعداء
عبرنا بحر مونا
وهشمتنا المراكب . من ترى يشتاق للموت
انا ان كان حاضرهم هو الماضي
انا ان لم اجد لحياتنا طعمنا

— تأمل
تأملت .. نبت .. عبرت بحور التيام
ولم يأتني النصر كل الجسور خيام
ومن آخر العالم المستباح
اذا جامني الفارس المنظر
ساخيره ان هذا الحطام
هو النصر ،
قالوا باننا انتصرنا
وآه اذا جامني الفارس المنظر
— تأمل

نجي المسافات من آخر العالم المسباح
اجيء على سدفع عوري تجنو السنين
ويرقد طير كسول الجناح
فاغفو على حفنة من حنين
تري من يشد الخطى نحو بيت الاحبه ،
منذا سيفزل تلك الفصوص
على نصف عوري الذي هشمته جسور الرياح
تظلمين انتر التي في الخيال
تصيرين اغنية .. همسة ، او سؤال
تشدين خطوي ،
فاغبر بحر الظنون
فيلتصق الذهن باللوحة العاشرة
تموت الاغاني .. ويرتاح لون المصالح
على غنوتي الخاسرة
سمائي التي تشد الحرب غنت
وغنيت .. غنيت حتى الصباح
وقلت القلوب استفاقت ،
فابعني الشدو ، من يركل الفتوة الداعرة
هراء الطبول التي تسبق الحرب غني
ورش على الصدر شارات نصر حزينة
وانت ترشين عطر المحبة .. من يستعيض
بعمطر المحبة عن غفوة ساقره
وقلتر :

— تأمل
هو الفجر ذاك الذي يحمل الفضبة الثائرة

هو الجرح الذي في القلب ينفث
فاهرب من ضياء الحاضر المسروق من امسي
لقد كانت سفائننا
نتيه لان الحاضر المسروق لا ينهي المسافات

خطبة عوي

— دخل السجان العنبر . وقال :
— انت حر ايها العجوز
— ماذا ، ما . . .
— انت حر ، اقول لك . هيا احزم اشيائك
واستعد !

كان امر الافراج عنه ينتقل من يد الى يد ، ووقف
العجوز الى جوار السرير الماري وعيناه تبريشان
بصورة مضحكة ، في حين كان العرق يبلل لحيشه
الخشن . تحولت عشرات العيون تنظر اليه معبرة عن
مختلف المشاعر ، بها فيها الحسد ، فليس امرا سهلا ان
ترى غيرك يجتاز العتبة الى الحرية بينما عليك ان تبقى
خلف اسوار السجن . وقف العجوز هناك صامتا
مضطربا قابضا يده على اختراعه الاخير « القره جوز
ذو الخيط » الذي راح يفتقر ويدور بكل ما في الدمية من
خفة وعدم اكتراث محبب . لقد كان العجوز في فترات
الراحة يمكنه على صنع اللعب لحفيده ، كان دائما
يشار التفننات .

قال احدهم :
— ايها العجوز ، اذهب !
وشاركة الآخرون :
— والى الامم !

تأليف : ايثاليو تروف

ترجمة : حسين محمد ابراهيم

استجمع العجوز نفسه ، واستولى عليه الفرح
كبحر وتوسع في دوامة . . وراح ، وهو ينقض من راسه
الى اخمص قديمه ، ينيش ويقلب في اشيائه باكما ضاحكا
كطفل صغير ، معطيا ملبسه الشتوية الدافئة واربطة
لبعض رفاقته ، ثم صافحهم جميعا بطوخا مخلاته بسا
فيها من لعب فوق كتفه مفادرا العنبر حافي القدمين
وليس عليه الا قميصه فقط .

كان السجان يقف خارجا . تجاوزه العجوز في
سيره ثم حياه في رفقة من مرور غابر قائلا :
— وداعا ياسيدي السجان !

اوما السجان المتجهم الوجه بشاربه الكث في صمت
واطرق براسه واشمل سيجارة وهو يتهم :
— انهم يهازون به . لقد لعبت الخمر براس القومندان .
كل ما في الامر انه يسخر منه .
وبكل ما فينا من قوة نحن الهائين صرخنا ، صفرنا
وخعلنا على الجدران بالقباطيب :





نصف عين لا تكفي

بقلم / جاسم محمد احمد

ARCHIVE
<http://Archivebeta.com/>

استندت العجوز على المسند واحسبت براحة
وابتسمت .. الحبد لله على العافية .
وجها يلمع وابتسامتها هادئة ويقولون ان الله
راض عليها ..
توجهت اليها ام عبدالله تلك المرأة الهزيلة السمراء
ذات النصف عين او كما يقولون لبعضهم تحاشيا عند
تعريفها كريمة العين ، قبلت رأس العجوز وجلست
بجانباها او تحت رجلها الملكة والجارية او مضحكة
الملكة .
تذكر الحوادث وتقته العجوز هذا ما يريد الانباء
والبنات من ذات النصف عين .. ودائها العجوز
تحسها بوقوفها وقدرتها على مساعدتها ولا ملجأ لها
الا هي .
كانت تردد لابي عبدالله بهمس :
— الله في السماء وعجوزنا في الارض تم تتبعها
بالمسخر الله العظيم .

— عذ ايها العجوز ، انهم يعيبون بك ..
لكنه مضي يتقدم بنبات . حافي القدمي كما هو ،
لم تكن على الارض قوة تستطيع اجباره على العودة ،
مضي وميناه مبنين على قمة الجبل الزرقاء . في حوض
ذلك الوادي الصغير . خلف قمة الجبل التي تبعث
الشمس فوقها ساكنة الحراك ، كانت قريته . وكان عليه
حتى يصل الى بيته ان يمشي في طرق الجبل وممراته
ليلة ونهارا كاملين ليجد في انتظاره في النهاية امرأتين
بائسيتين وحفيدا ، من اجله احضر مخلا ملاي باللعب ،
فكيف يعود للسجن ؟ واني له ان يدرك بتفكيره البسيط
ان الانسان غنان — ايضا — في قسوته !
التي الحارس المنوط بالخديعة نظرة على تصريح
الافراج عنه . ثم فتح البوابة على مصراعها وهو يحييه ،
وثبت العجوز مخلا اللعب فوق كتفه ومضى خارجا
بخلوات وانعة كمن يتأهب لرحلة طويلة سعيدة ، لكنه
لم يكن بخطو خطوتين حتى التي رجال الشرطة بانفسهم
وقوفه واخذوا بلابلايه . كان احدهم جليا ضخ الجثة ،
سحبته من يده وقال وهو يقهقه :
— الى اين انت ذاهب ايها القبي ؟ انطلق ان الخروج
من السجن سهل هكذا ؟ لقد كنت فيها من زمان .
العصابات ، والان تريد منا ان نتركك لنذهب اليوم ،
اليس كذلك ؟ يا لك من اخرق ايها العجوز !
وكان العجوز يصرخ :
— ان مهى تصريح الافراج عني
ويلوح بقصاصه الورق البيضاء في يده :
— اريد ان اقبل القومندان . يا سيدي القومندان .
انتزع الشرطي الضخم الضخم التصريح من يده ومزقه
قطعا صغيرة . لم ينبس العجوز بكلمة ، بل استدار
عائدا الى المنبر ، وومض عود تقاب خلفه ثم انطفا
للحظنة .
سار متاثلا ، ووقفنا نراقب ظله في ضوء الشمس
الفاربة ، كان خيالا اسود مهتزا ، وعندنا بلغ منتصف
الفساء تريت لحلة واضعا كتفه على موضع قلبه ،
وفي صوت حاد جاف سقطت المخلة بها فيها من لعب
الى الارض ، وانحنى العجوز برغمها فانتنت ركبته
تحته ، وبعددها لم ينهض مطلقا .

كان ساعته ابو عبدالله يمسق ذمء حياته ويتطع
 ملايات سريره من الالم .
 — ولكنهم كما تعرفين الولد في الديوان مع جماعته
 ولا تستطيع ان تزرعيه واخوانه ذهبوا ليرتاحوا ...
 وانت تعرفين ان البنات لا نستطيع ان نكدر صفوهن .
 نعم فالبنات بزيتهن وروائحهن والمكياج على
 وجوههن لن يستطعن ان يجلسن بجانيه او خلفه في
 السيارة فلباسه القرف وبصاقه .
 لا انك يا ام عبدالله تحلين ، وسقطت حكمتك
 الله في السماء والعجوز في الارض .
 لم يبق لك سوى الله في سمائه ، فادعيه ربما
 يستجيب لك .
 جرت في شبها مسرعة تتعثر والعجوز تمسك
 ضحكها بقوة .
 لا يزال ابو عبدالله كما يقال : رجل في القبر ورجل
 قريبة منه .
 اسندته على كتفها واخذت تجري في الشارع تسأل
 الواقفين عن تاكسي ، يا ليت كان عبدالله موجودا
 لانتقمهما .
 توقف التاكسي ، ركبته به وساعدها على
 الصعود وهي تبكي وهو يتوجع اخلاط انسين ابي
 عبدالله بشكواها .
 كانت تشتم الملكة العجوز لاول مرة .
 — بعض الناس لا ادري هل سخرية يعطيهم
 ذلك الوجه الهاديء المبتسم بينما روحهم موحشة خربة
 كالزحف في اللبنة ؟
 الالم والشفاء جعلها يائسة فاحشة في الشتم .
 — ربما كانت تضحك على طوال تلك المدة ولكن ربما
 ايضا تصف العين لم تساعدي على معرفة حقيقتها .
 — ابو عبدالله ابق لي ، ابق لعبدالله . قاله في السماء
 وانتها الانسان في الارض .
 كان الدم الذي نزع له يبق له مقاومة كان ينظر لها
 بعيون ميتة صفراء .
 جروه الى الداخل بالعربة وهي تتعثر وراعها
 بكت وجرت وتعثرت ووقعت .
 وتمتعت بحقد :
 — يا لملكة العجوز الشمواء .. جالسة ليس بقلها
 شيء ، وبناها يبحثن عن عرسان واولادها لا اعلم
 بماذا يهتمون ..
 الارض اصبحت بالنسبة لي خالية ، عبدالله فقط
 عليها ويجب ان يبقى لي الى ان انتهى .
 المرأة خرفت : " تهتم احد القراشين . ورد عليه
 الآخر ، اننا له وانا اليه راجعون .
 باسم محمد الحميد



وليلة الجمعة ليلة فرح ..
 الابن في الديوان يشرب ما لذ وطاب من المسدام
 والآخرين في مزارعهم ينعمون بما امداهم الله .
 والبنات ذهبن للفرح لينظرن خولهن يتبعين
 كبتين ويمعن ، عن فراغهن الطويل .
 وليلة الجمعة تسهر ام عبدالله الى ان تأتي البنات
 ثم تذهب ليلتها لتجد ابا عبدالله ملتنا حول نفسه في
 السرير يحك ويبسق .
 وعبدالله نائم في الحجرة الثانية هكذا كل ليلة
 واطولها ليلي الجمع .
 اما ليلة الجمعة هذه فان تلقها زائد لان ابا عبدالله
 يبسق ذمءا وعبدالله في الخارج .
 فاستاذنته وجرت من تحت النمل وارقدت ابا
 عبدالله على السرير وهو يئن ويتوجع ويبسق الذمءا
 — اتني مستعجلة سارجع بسرعة حتى انظر ، سأأخذ
 « الچچچم » كرمك الله .
 وام عبدالله تستعمل ذلك النمل كصفة للاستعجال
 وتقول هذا التعبير « كرمك الله » كنوع من الذوق
 والادب اتجهت الى العجوز وهي تسبح وتكبر .
 ورات الملكة العجوز مستندة على مسندها المفضل
 بوجهها الهاديء والابتسامة مرتسمة على شفتيها ؟
 — ما الخبر يا ام عبدالله مالك تتخبطين ؟
 فاجابت برقة وانكسار :
 — ابو عبدالله مريض .

١



أسبابه وأهم خصائصه في العصر الأموي

ليت شعري مسافرين أي عمرو ، وليت يقولها المحزون
كيف كانت مرارة الموت في فيك ، وماذا بعد الممات يكون
ومن هؤلاء عروة وعفراء اللذان قال فيهما
عمر بن الخطاب : لو أدركت عروة وعفراء لجمعت
بينهما (٢) كما أحب عنترة بن شداد ابنة عمه عيلة
ابنة مالك ، ولامرئ القيس عدد من قصائده الغزلية
في ابنة عمه عزيزة ، وفاطمة ابنة عبيد بن ثعلبة ،
« والمرقش الأصغر وفاطمة ، والمخل ومبلاء ، ومالك
ابن الصمصامة وجنوب ، وقيس بن الحذيفة ونعم ،
وعبدالله بن علقمة وحبيشه ، وعمرو بن كعب
وعقيلة . » (٣)

ثم جاء الاسلام فشغل الناس بما أثاره من معارك
وفتوحات حتى إذا استقر الأمر بعض الشيء أخذت

من المؤكد أن ظاهرة « الحب » بنوعيه العذري
وغير العذري كان لها وجود قبل العصر الأموي (١)
لأن هذه الظاهرة رغم عالميتها ، ذات جذور عميقة
في الوجود العربي ، وإن كان الشعر الذي ارتبط بها
قليل لسبب واضح هو ضياع الكثير من هذا الشعر ،
ولقد احتفظ لنا الرواة ومؤرخو الأدب بأسماء عدد
من هؤلاء العشاق التيمين الذين أحبوا في العصر
الجاهلي : كعبدالله بن عجلان الهذلي الذي عشق هنداً ،
والمرقش الأكبر الذي أحب ابنة عمه أسماء بنت عوف
ابن مالك ، ومسافر بن أبي عمرو بن أمية الذي كان
يتعشق جارية من أهل مكة فهدهدته أهلها فهرب إلى
النعمان بن المنذر بالحيرة واعتل هناك ومات حين سمع
بزواج محبوبته ، وقد رثاه صديقه أبو طالب بأبيات
منها :

الأمرى ، وما قبله - حيث لم يطرأ تغيير كبير - على علاقات الإنتاج في ذلك العصر ، عما سبقه ، فإن رجال البادية ونسائها قد استهدفوا لهذا الفراغ ، مما كان سبباً في نقشي ظاهرة الحب بين شبابه . والحادثة التالية تؤكد ما نقوله : فلقد حج عبد الملك بن مروان ومعه خالد بن يزيد بن معاوية وكان خالد هذا من رجالات قريش المعدودين . وكان عظيم القدر عند عبد الملك ، فبينما هو يطوف بالبيت إذ بصّر برملة بنت الزبير بن العوام فهام بها ، فلما أراد عبد الملك القفول ، همّ خالد بالتخلف عنه فوقع بقلب عبد الملك تهمة فبعث إليه فسأله عن أمره ، فقال : يا أمير المؤمنين ، رملة بنت الزبير رأيتها تطوف بالبيت فأذهلت عقلي ، والله ما أبديت إليك ما بي حتى عيّل صبرى . . . فأطال عبد الملك التعجب منه ، وقال : ما كنت أقول إن الهوى يستأثر مثلك ، قال : فإني لأشعر تعجبا مني ولقد كنت أقول : إن الهوى لا يتمكن إلا من صنفين من الناس ، الشراء والأعراب ، أما الشعراء فلاهم أئروا قلوبهم الفكر في النساء ووصفهن ،

كِلَافِي حَسَن سَد

بشم

والتغزل فيهن ، قال طبعهم إلى النساء فضعفت قلوبهم عن دفع الهوى فاستسلموا متقادين ، وأما الأعراب فإن أحدهم يخلو بامرأته فلا يكون الغالب عليه غير حبه لها ، ولا يشغله عنه شئ فضعفوا عن دفع الهوى فتتمكن منهم ^(١) . . . فخطبها له عبد الملك ولكنها اشترطت أن يطلق امرأتين كانتا له فطلقهما وطلعن بها إلى الشام. فإذا كان الفراغ في البادية أهد أسباب نقشي ظاهرة الحب ، فالفراغ نفسه ، فراغ المترفين من الأثرياء في مكة والمدينة هو الذى أشاع قصص الحب الحضرى ، وأوجد شعراءه ، فمن المعلوم أن أنشاء الخلفاء والأمراء قد ظلوا في هاتين المدينتين

تتدخل بعض العوامل التي تستثير إليها في هذه الدراسة الموجزة في إحياء وبعث هذه الظاهرة . . . كان من أهم تلك العوامل « الفراغ » ، فالشباب العربي المقيم بالبادية ينتقل من مرعى إلى مرعى . . لا يجد ما يشغل به وقت فراغه الواسع إلا ترجيع أغنيات الحب ، وسهرت أخبار المحبين ، مما يذكر في روح الاستعداد للإصابة بهذا الداء - إذا صح أن نطلق عليه أنه داء - وقد يرى بجارة له قرية أو غير قريبة تشاركه المرعى فيعجب بها وتبادلها هوى بعض الإعجاب ثم تأخذ صورته وذكرياته عنها تلح عليه إلى أن تصيح شيئا ملازما له في نومه ويقظته ، كما حدث لجميل ابن معمر الذى نفرت بشينة قطعانه في المرعى وهى شابة جدثة السن ، وهو شاب في مثل سنها ، فبشها وسبته ، وكان ذلك بداية جهما الذى لم يستطعا عنه فككا : وجميل يسجل هذه البداية في أبيات منها :

وأول ما قاد المودة بيننا بوادى بغض يا بشين سباب
وقد أدرك ابن حزم « في كتابه طوق الحمامة »
ما للفراغ من أثر في إشكائه الحب « وإثارة لأواعيه »
فقال في صدد حديثه عن النساء : وما أعلم تمكن هذا الطبع من النساء إلا أنهن متفرغات الألباب من كل شئ إلا من الجماع ودواعيه ، والغزل وأسبابه ، والرجال مقتسمون في كسب المال وطلب العلم وصحبة السلطان وحياطة العيال ، ومكابدة الأسفار ، والصيد ، وضروب الصناعات ، ومباشرة الحروب ، وملاقة الفتن ، وتحمل المخاوف ، وعمارة الأرض ، وهذا كله متخيف للفراغ ، صارف عن طريق البطل ، وقرأت في سير ملوك السودان أن الملك منهم يوكل ثقة له بنسائه يلقى عليهم ضريبة من غزل الصوف يشتغلن بها أبد الدهر ، لأنهم يقولون إن المرأة إذا بقيت بغير شغل إنما تشوق إلى الرجال . . . »

لقد أدرك ابن حزم السر في اهتمام النساء ، نساء عصره في الاندلس بأمر الحب ، وهو عدم وجود ما يشغلن من عمل ، في الوقت الذى انشغل فيه الرجال بما ذكر من أعمال ، أما في الشرق ، وفي العصر

إذ إنه السجل الذي يضم أمجاد القبائل العربية ، وأعمالها العظيمة ، فليس غريباً أن نجد بيتاً من الشعر يرفع من شأن قبيلة طال بها الذل والخنوع ، كبيت أنف الناقة الذين حول شعر جرير شعورهم بالخزي إلى شعور بالفخر والاستعلاء حين قال :

قَوْمٌ هُمُ الْأَنْفُ وَالْأَذْنَابُ غَيْرُهُمُ

ومن يَسُوْى بأنف الناقة الدنيا

كما يحدث العكس ، فيطامن بيت - شعر من كبرياء قبيلة ، فتشعر بالعار والخزي بعد الشعور بالعزة والكبرياء كما حدث لبيت نعيم أيضاً ، وقد تجعل الناس يتهافون على خطبة بنات رجل لم يكن له شأن أو مكانة بين الناس ، كما حدث للمُحَلَّق ... حين مدحه الأعشى ، بل قد تسبق قصيدة من الشعر صاحبها ، فكلما حل بمكان سمعها تردد على ألسنة الناس ... والشعر هو عنوان الفصاحة عند العربي ، والفصاحة هي أهم عامل من عوامل الشرف والسيادة ... فلا عجب إذا وجدنا قائداً كعبد الله بن طاهر أمير

خراسان ينصح ولده بقوله : عاشقوا نظرفوا وعفوا تشرفوا ... وقيل لسعيد بن أسلم : « إن ابنك شرع في الرقي من الشعر ، فقال دعوه نظرف وينظف ويلطف ... » بل كثيراً ما رأينا بعض الخلفاء والحكام يغفون الجوارى بأبنائهم حتى يتمكن من أنفسهم الحب فيشحنهمهم ويهذب نفوسهم ، ويدعوهم إلى نظم الشعر ، يضاف إلى ذلك سيورة الشعر ، وتردده في المجالس وعلى ألسنة الناس ، مما أغرى النساء خاصة به ، فالمرأة يزدهيا أن ترى اسمها يتردد على كل لسان مما يدل على فتنتها وجمالها ، وأنها مصدر إلهام للشعراء ، وتكاد لا توجد فتاة لا تحفظ ما قيل فيها من شعر : والأحاديث عن ذلك مستفيضة ، فليل الأخيلية تحفظ كل ما قاله فيها توبة بن الحمير ، ومية كانت تحفظ شعر ذي الرمة الذي تغنى به فيها . قال أبو سوار الغنوي الذي رآها ووصفها ، لمن سأله : أكانت تشدك شيئاً مما قال فيها ذو الرمة ، قال : نعم ، كانت تسحُّ سحاً ما رأى أبوك مثله (٧) ... وهذه عزة تدخل على عبد الملك بن مروان

بعد أن انتقلت عاصمة الخلافة إلى دمشق في عهد بني أمية ، وقد كثرت أعطيائهم التي كانت تصرف لهم من بيت المال الذي اتسعت روافده ، فانتشر فيها الغناء والشعر وقصص الحب ، ووجد شعراء لا عمل لهم سوى البحث عن مصادر جديدة كل يوم لهذه القصص التي يودعونها قصائدكم ، ويرددها فتيات وفتيان هذا المجتمع الحضاري ، فهذا عمر بن أبي ربيعة يتردد كل عام إلى الحج لا ليؤدي فريضة دينية ، وإنما لينتقي ببعض محبوباته أو من يتصدبن له وأغلبهن من أهل البيوتات الشريفة ليتغنى بهما ، وليرودن من رحلتين ببعض القصص والقصائد التي يتسلن بها في الطريق . وهذه فتاة يراها أبو حازم الصوفي (٨) ترمى الجمار قترى الناس بطرفها بمنة وبسرة وقد شغلت الناس وهم ينظرون إليها مبوتين ، وقد خبط بعضهم بعضاً في الطريق فقال لها أبو حازم : يا هذه اتقي الله فإنك في مشعر من مشاعر الله ، وقد فنتت الناس فأضربي بخمارك على جيبك فأقبلت تضحك من كلامه ، وقالت : إني والله :

من اللاتي لم يحجبن بغيغن حسنة

ولكن ليلتنق البرى المغفلة

فأقبل أبو حازم على أصحابها وقال : فاعلموا ندعو الله ألا يعذب هذه الصورة الحسناء بالنار ، فجعل يدعو وأصحابه يؤمنون كما اجتراً عمر على أن يتغزل حتى في نساء بني هاشم مع ما هن من مكانة دينية ، فقد استدعاه عبد الملك بن مروان وقال له : قد علمت قريش أنك أطولها صبرة وأبعدا توبة ويحك . أتلك في نساء قريش ما يكفيك من نساء بني عبد مناف . وحين ينكر يذكره بقوله :

بعيدة مهوى القرط إما لتوفل

أبوها وأما عبد شمس وهاشم (٩)

والعامل الثاني من عوامل انتشار هذه الظاهرة ، هو ارتباط الحب بالشعر الذي هو الوسيلة الأولى بل والوحيدة عند العرب في الترجمة عن العواطف . فللشعر - كما هو معروف - منزلة الخاصة عند العربي ،

عدد كبير من شعراء الغزل في زمن واحد - كانوا يبحثون عما يثير خواطرم ، ويبحثون على قول الشعر ، فلقد اجتمع الفرزدق (٩) وجريز وجميل ونصيب وكثير في موسم من المواسم ، قال بعضهم لبعض والله لقد اجتمعنا في هذا الموسم لأمر هذا خير أو شر ، وما ينبغي لنا أن نتفرق إلا وقد تابع لنا في الناس شئ نذكر به ، قال جريز هل لكم في سكنية بنت الحسين نقصدها فنسلم عليها ، فلعل ذلك يكون سببا لبعض ما نريد ، فقالوا امضوا بنا فضيئنا الى منزلها ، فقرعنا الباب فخرجت إلينا جارية لها فأقرأها كل منهم السلام باسمه ونسبه قدخلت الجارية وعادت فبلغتهم سلامها ثم قالت أيكم الذى يقول :

طرقك صائدة القلوب وليس ذا

وقت الزيارة فارجمي بسلام

قال جريز ، أنا قلته ، قالت فما أحسنت ولا أجملت ولا صنعت صنع الحر الكريم ما أنت بكلف ولا شريف حين رددتها بعد هدوء العين وقد تجشمت إليك هول

الليل هلاقت

طرقك صائدة القلوب فمرحبا

نفسى فداوك فادعلى بسلام

وتكرر منها الأسئلة لكل شاعر على لسان جاريها كما يتكرر التعليق والتعقيب ثم تعطيه جائزته حتى إذا جاء دور جميل بن معمر قالت له : أغزلت وكمرت وعقلت ، أدخل ، فلما دخل سلم فقالت له سكنية : أنت الذى جعلت قتيلا شهيدا وحدينا بشاشة وأفضل أيامك يوم تنوب فيه عنا ، وتدافع ، خذ هذه الألف ، وأبسط لنا العذر أنت أشعرهم . هذه القصة تدل على اهتمام النساء في ذلك العصر بتتقيف أنفسهن ، واهتمامهن برواية الشعر وحفظه ، بل رأينا عزة في بعض المواقف تنتقد كثيرا لأنه تمنى لنفسه ولها أن يكونا جميلين أجدين يضربان ، ويطردان ، وتفضل عليه الأحوص قائلة ولأني (١٠) رأيت الأحوص ألين جانبيا عند الغواني منك في شعره ، وأدع خذا للنساء ، وأنه الذى يقول :

لترفع مظلمة لها ، فلما سمع كلامها تعجب منها فقال له بعض جلسائه هذه عزة كثير ، فقال لها عبد الملك : إن أردت أن أرد عليك مظلمتك فأشديني ما قال فيك كثير فاستحييت ، وقالت : والله ما أعرف كثيرا ولكي سمعته يحكون عنه أنه قال فى :

قضى كل ذى دين فوفى غريمه

وعزة مطول معنى غريمها

فقال عبد الملك : ليس عن هذا أسألك ، ولكن أشديني من قوله :

وقد زعمت أني تغيرت بعدها

ومن ذا الذى يا عز لا يتغير

تغير جسمي والخليقة كالذى

عهدت ولم يخبر بسرك مخبر

قالت ما سمعت هذا ، ولكن سمعت الناس يحكون عنه أنه قال فى :

كأنى أنادى صخرة حين اعرضت

من الصم لو تمشى بها العصم قلت

صفوح فما تلقاك إلا ببغيلة

فمن مل منها ذلك الوصل ملئت

ففى حاجتها ورد مظلمتها ، وقال عبد الملك (٨) : ولأن المرأة

على الجوارى يأخذن من أدبها (٨) ... ولأن المرأة تحب دائما أن ترى صورة جمالها ماثلة أمام أعين الناس وقلوبهم ، نجد أن عددا من معشوقات عمر بن أبي ربيعة يحاولن أن يصطنعن المناسبة التي تمكنه من أن يكتب فيهن شعرا ، فهذه الثريا - كما روى الأصمعي عن أبي سفيان بن العلاء - تبصر عمر بن أبي ربيعة يطوف حول البيت ، فتنتكر ، وفي كفها خلوقة (طيب) ثم زحمته فأثر الخلوقة في ثوبه فجعل الناس يقولون يا أبا الخطاب ، ما هذا زئى الحرم فأشأ يقول :

أدخل الله رب موسى وعيسى

جنة الخلد من ملاني خلوقا

مسحت كفها بجيب قميصي

حين طفتا بالبيت مسحا رقيقا

كما كان الشعراء أنفسهم - وخاصة أنه اجتمع

أدور ولولا أن أرى أم جعفر

بأيانكم ما درت حيث أدور

وما كنت دوارا ولكن ذا الهوى

إذا لم يُرَ لا بد أن سيزور

أليست رواية الشعر وحفظه ومعرفة جيده من رديته ، وتلك الأحداث التي ترتبط به من صفات أهل الظرف . والمرأة دائما تبحث عن كل ما يعلل من شأنها . ويسبق على جمالها جمالا وروعة . فإذا كانت المرأة في البادية تهتم بما قيل فيها من شعر ، فإن المرأة في الحضر لم تكن تكفى بذلك بل كانت كما رأينا تصدى للشراء ، وتعلق على أعناقهم ، وتنتظر مرورهم في الطريق إليها كما صنعت زينب البيضاء الجميلة التي كان يهيم بها نصيب الإفريقي الأسود ، قال عثمان بن الضحاك الخزامي : خرجت أريد الحج فزلت بالأبواء فإذا امرأة جالسة على باب حيمة فأعجبني حسنها فتمنلت بقول نصيب :

يزينب ألمم قبل أن يرحل الراكب ... البيت

فقلت : يا هذا أعترف قائل هذا الشعر . قلت نعم ، نصيب ، قالت : فعرف زينبه قتل لا . قالت : فأنا زينبه ، قلت حياك الله ، قالت : أما إن اليوم مواعده من عند أمير المؤمنين ، خرج إليه عام أول فوعد في هذا اليوم ، لعلك لا تبرح حتى تراه . والرجل أيضا يشهره الحب والشعر كما يشهر المرأة قال ابن القيم في الحديث عن ذلك : ويكفى أن يكون الأعرجي الذي لا يذكر مع الملك ، ولا مع الشجعان الأبطال يعشق ويشهر بالعشق فيذكر في مجالس الملوك والخلفاء . وتدون أخباره وتروى أشعاره ، ويبقى له العشق ذكرا مخلدا .

ولعل ارتباطه بالشعر هو الذي جعل مجالس الخلفاء والأمراء تحفل بالحديث عنه . فقد سأل الخليفة المأمون يحيى بن أكرم عن العشق ، ما هو ، فقال : هو سوانح تسنح للمرء فيهم بها قلبه ، وتؤثرها نفسه ، فقال له تمامة : أسكت يا يحيى ، إنما عليك أن تحيب في مسألة طلاق أو في محرم صا ظيما . أو قتل غيلة ، فأما هذه فمسائلنا نحن . فقال له المأمون ،

قل يا تمامة ما العشق ، فقال تمامة ، العشق جليس تمتع وأليف مؤنس وصاحب ملك ، ممالكه لطيفة ، ومذاهبه غامضة ، وأحكامه جائرة ، ملك الأبدان وأرواحها الخ فقال له المأمون ، أحسنت ، وأمر له بألف دينار . . . كما لا يخرج من أن يشهر به عالم كمروة بن أذينة ، الذي كان أستاذًا للملك ، وشيخا من العلماء الثقات . . . وقصائده الغزلية أشهر من أن تذكر ، مما جعل سكنية بنت الحسين تقول له : ما أظن أن هذا الشعر قد صدر من قلب خال من الحب وابن أبي عتيق الذي يحفظ شعر عروة بن أذينة يجلس مع ابن أبي السائب (١) - الذي كان جده خليطا للرسول عليه السلام ، وكان إذا سئل عنه يقول : نعم الخليط كان أبو السائب ، لا يشارى ولا يمارى . . . فيسمعه قصيدة عروة التي يقول فيها :

إن التي زعمت فؤادك ملها

خلقت هواك . كما خلقت هوى لها

فيعجب بها أى أعجاب حتى إذا طلب منه ابن أبي عتيق أن يتناول معه الطعام ، قال : لا والله ، ما كنت لأخلط بهذه الأبيات طعاما حتى الليل . . . بل يظهر هذا اللون من الحب خاصة الحب العذرى الغريب لا يخالطه بصفات نبيلة سامية كالغفاف ، والفصاحة ، والصبر ، وإتيار الذات ، والشجاعة ، جعلت المجتمع العربي يعترف به ، بل يكاد يقره ولا ينكر منه شيئا ، وإلا بماذا تفسر حب الخلفاء كالرشيد ، وأم البنين التي عشقت وضاح اليمن بل يقول ابن حزم « كانت قصور الخلفاء في الأندلس تعج بالحب . . . ومن العشاق العلماء عبيد الله بن عتبة ابن مسعود ، وابن عباس يقول عن الشاب الذي عُرض عليه ، وقد نحل عوده واصفر لونه : هذا قاتل الهوى لا عقل ولا قود . . . وحين أراد المأمون أن يصلى على العباس بن الأخنفت وأبي العاتية ، وإبراهيم الموصلي ، الذين ماتوا في يوم واحد طلب تقديم العباس عليهما ، وحين اعترض بعض الظاهرية ، قائلا : أيها الأمير ، بم قُتلت العباس ، قال يا فضولي ، بقوله :

صدر حديثاً...
محاولة ثرة في الفلسفة
 للدكتور / تيسير شيخ الارض
 وهو محاولة لا توفى لها الفلسفة على اسس جديدة

الأديب

تصدر في مطبع كل شهر

يساهم في تحريرها

أدباء العربيّة من

المحيط إلى الخليج

تحت إيتكم

للشباب والشفافية والديمقراطية
 في العالم العربي

سماك في قوم ، وقالوا إنها
 لى التى تشقى بها وتكابد
 فجدلتهم ليكون غيرك ظنهم
 إني ليعجبني المحب الجاحد
 وابن ملكة سمع إذ كان يؤذن الأخضر الجدى يتغنى
 في دار العاص بن وائل ، ويقول :
 صغبرين نرعى البهم يا ليت أننا

إلى الآن لم تكبر ، ولم تكبر البهم
 فأسرع في الأذان ، فأراد أن يقول : حيّ على الصلاة ،
 فقال : حيّ على البهم حتى سمعه أهل مكة فجاء
 يعتذر إليهم - بل أكثر من خليفة وأمير يشفع في أمر
 الحب ، فأبى عتيق يصلح ما بين عمر بن أبي ربيعة
 والثريا حين يسمع قوله :

من رسول إلى الثريا فإني

ضقت ذرعاً بهجرها والكتاب

وحين يمر وهو في الحج على نصيب يسأله : هل
 يريد أن يبلغ رسالة لإحدى معشوقاته ، فيجمله رسالة
 شعرية إلى محبوبته سعدى يقول فيها :
 اتصبر عن سعدى وأنت صبور

وأنت بحسن الصبر منك جدير

وكدت ولم أخلق من الطير أن بدا

سنا بارق نحو الحجاز أطير

فخرج ابن عتيق فوجد سعدى في مجلس لها ،
 فقال لها يا سعدى ، معنى لك رسالة ، قالت ، وما هي
 هاتها يا ابن الصديق ، فأشدها البيتين ، فتفتست
 نفسها شديدا ، فقال ابن أبي عتيق ، أوه ، أجبته
 والله بأحسن من بيتيه ، وعنتى ما أملك ، لو سمعها
 لتعق وطار .

البقية في العدد القادم



- ١ - يرى هذا الرأي الدكتور طه حسين في « حديث الأربعماء » ، والاستاذ
 عبدالله أنيس الطاع في « الحب والغزل بين الجاهلية والإسلام »
- ٢ - مصارع العشاق
- ٣ - الحب المثلل عند العرب للدكتور يوسف خليف
- ٤ - روضة المحبين ص ١٨٨
- ٥ - روضة المحبين لابن القيم
- ٦ - زهر الآداب ج ١ ص ١٣٠
- ٧ - طبقات القراء ص ٣٩
- ٨ - روضة الماشقين
- ٩ - مصارع العشاق
- ١٠ - زهر الآداب ج ٢ ص ١٠٩
- ١١ - الحب المثلل عند العرب